القلقُ في شعر عبد الرحمن شكري

دراسةً سيكولوجيةً تحليليةً

إعداد الدكتور

محمد أحمد عبد الرحمن سليمان

مدرس الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر

القلقُ في شعر عبد الرحمن شكري دراسةً سيكولوجيةً تحليليةً

محمد أحمد عبد الرحمن سليمان

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة ، جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني: mohamedsoliman.4@azhar.edu.eg

الملخـــص :

يـدور هـذا البحـث حـول ظـاهرة القلـق عنـد الشـاعر عبـد الـرحمن شـكري، الـذي عـاش حيـاة مليئـة بالعقبـات، ومشـحونة بالأزمـات، فكـان لمعيشـته العصـيبة أثـر واضـح علـى دفقاتـه الشـعورية، وحالتـه النفسـية، وقـد تحـدثت فيـه عـن التعريـف بالشـاعر، والتعريـف القلـق وعلاقتـه بـالأدب. وكـان المبحـث الأول عـن: الـدوافع الذاتيـة للقلـق، وتتمثـل في: العاطفـة الوجدانيـة (الحـب)، الحـزن، الشـعور بالغربـة. وكـان المبحـث الثـاني حـول الـدوافع الخارجيـة للقلـق، وتتمثـل في: المـوت ومقدماتـه، الزمـان وأحداثـه، الإنسـان وآفاتـه. وفي الخاتمـة تلخـيص لأهـم نتـائج البحث.

الكلمـات المفتاحيـة: القلـق، شـعر، عبـدالرحمن شـكري، دراسـة، سـيكولوجية، تحليلية.

Anxiety in the Poetry of Abdel- Rahman Shokri

An analytical and psychological Study

By: Mohammed Ahmed Abdel- Rahman Suleyman
Department of Arabic Language and its Literature
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

This research tackles the phenomenon of anxiety in the poetry of Abdel- Rahman Shokri who lived a life of obstacles and crises. Therefore, his tensioned and nervous life had its outstanding influence on his stream of emotions and his psychological state. The researcher has introduced the poet, identified anxiety and highlighted its relationship with literature. The first chapter handles the personal motives beyond anxiety as embodied in the emotional sensation (love), melancholy and the feeling of alienation. The second chapter revolves around the external motives beyond anxiety as incarnated in death and its antecedents, time and its incidents, man and his diseases. The conclusion sums up the most outstanding findings of the research.

Keywords: anxiety, Abdel- Rahman Shokri, study, psychological, analytical.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه، وبعد.

فإن ظاهرة القلق عامل نفسي، واضطراب وجداني، يصيب الإنسان عندما ينتابه التفكير في هموم الحياة وأحداثها، ويخيم على نفسه التوتر بسبب صروف الأيام وأحزانها؛ فينغلق على ذاته، وينتابه شعور حادٌّ بالوحدة النفسية والغربة الروحية، وهذا شأن الإنسان عمومًا، والشباب على وجه الخصوص، أما الأدباء والشعراء –ولا سيما الشباب منهم– فهم أرهف الناس إحساسًا، وأعمقهم شعورًا؛ إذ عندما يفكر الشاعر في همه الذاتي، أو عالمه الخارجي، ويجد نفسه حائرًا مضطربًا، يصور ذلك في تجارب مؤثرة، ويجسد قلقه وأرقه في قصائد معبرة.

والمتأمل في مسيرة الشعر العربي يجد أن ظاهرة القلق جلية منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث؛ وذلك لأن أحداث الزمان، ونوائب الأيام قد جعلت الشاعر يعيش في عالم الاغتراب النفسي، والخوف من المجهول؛ ومن ثم ينغلق على نفسه، وينطوي على ذاته، معبرًا في تجاربه الإبداعية عن خوالج وجدانه، وغصات قلبه وكيانه مصورًا فيها أحاسيسه ومشاعره تجاه الكون والحياة.

وقد برز هذا الاتجاه لدى غالبية شعراء الجاهلية، الذين عاشوا حياتهم في الصحراء الشاسعة، والفيافي الواسعة، وأصابهم الدهر بسهامه، ونال منهم الموت، فأخذ أحبابهم، وفرق بينهم وبين ذويهم وأصحابهم، فكان لهذه الحياة المضطربة أثر كبير على نفوسهم؛ ولذلك امتزجت أشعارهم بالقلق الروحي، والخوف من الموت والمصير، وكان لشعورهم بدنوّ الأجل سبب في تنغيص حياتهم، وإصابة نفوسهم بالحيرة والاضطراب.

والمتأمل في طبيعة الشعر العربي في العصر الحديث يجد أن لظاهرة القلق أيضًا حضورًا قويًا، وبروزًا جليًا عند جيل الشباب، لا سيما عند الشعراء الذين عاشوا فترات حياتية مشحونة بالثورة على المحتل الأجنبي، وعانوا من الأيام وصروفها، وكابدوا نوائب الحياة وهمومها؛ فانغلقوا على أنفسهم يصورون تجارب حياتهم في قصائد تشع بالقلق، وتعج بالاضطراب والحيرة والأرق، فاتخذوا من الشعر وسيلة

للهروب من هذه الحياة الموحشة، والأيام المظلمة، وكان لهذا القلق أثر كبير على تجاربهم الشعرية، وحياتهم المعيشية.

وفي طليعة هؤلاء الشعراء الشباب الشاعر عبد الرحمن شكري، الذي عاش حياة مليئة بالعقبات، ومشحونة بالأزمات، فكان لمعيشته العصيبة أثر واضح على دفقاته الشعورية، وحالته النفسية، ومن ثم تجلت في تجاربه ظاهرة القلق الروحي والاضطراب النفسي؛ نتيجة لهموم حياته، ونوائب أيامه؛ والتي كانت سببًا في انغلاق الشاعر وانطوائه، والتعبير عن حياته بصورة مؤثرة ومعبرة في تجارب كثيرة، اتسمت بالقلق من الحياة، والتشاؤم من الأحياء، واللجوء إلى الموت باعتباره المخلص من عيش عصيب، وشعور قاتل، وإحساس مدمر، وفي هذا البحث إطلالة سريعة على تجارب شكري الإبداعية، وقد جاء هذا البحث بعنوان: **القلق في شعر عبد الرحمن شكري دراسة سيكولوجية تحليلية.**

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب، من أهمها ما يأتي:

أولًا: أن الشاعر عبد الرحمن شكري قد تجلى في شعره هذا الاتجاه بصورة ملفتة؛ حتى إن القارئ يكاد يشعر أن هذه التجارب تصور حياة سوداوية، ودفقات مأساوية مر بها الشاعر في حياته وبين أبناء مجتمعه؛ الأمر الذي جعل هذا الشعر جديرًا بالدراسة والاهتمام في ضوء مفاهيم التلقي المعاصرة، التي تسبر أغوار النصوص، وتتعمق في بنياتها؛ لاستخراج المعاني البعيدة، والدلالات الخفية.

ثانيًا: أن ظاهرة القلق قد شاعت في شعر شكري بشكل واضح، وكثرت في ديوانه التجارب الإبداعية التي تصور قلقه وعدم ارتياحه؛ نتيجة صروف الأيام، وأحداث الزمان.

ثالثًا: أن المتأمل في ديوان عبد الرحمن شكري يجد أن للقلق دوافع متعددة، وأسبابًا متنوعة، قد شاعت في ثنايا النصوص، وتوزعت مراحل حياته، فهذه العوامل إما أن تكون ذاتية نابعة من وجدان الشاعر، وخارجة من صميم كيانه، وإما أن تكون أمورًا خارجة عن إرادته، وبعيدة عن ذاتيته، ومن هنا جاء هذا البحث ليسلط الضوء على تلك العوامل بالدراسة والتأويل والتحليل.

أما عن منهج البحث فقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أسير فه على المنهج النفسي، الذي يعتمد على دراسة شخصية الأديب وحالته النفسية، وظروفه المعيشية التي كابد آلامها، وعانى من أحزانها؛

وذلك من أجل الوصول إلى مكونات إبداعه، وروافد شاعريته، بالإضافة إلى العوامل التي ساهمت في إنتاج العمل الأدبي من جميع زواياه الخارجية والذاتية، معتمدًا كذلك على المنهج الفني الذي يقوم على تحليل العمل الأدبي تحليلًا فنيًا، مبرزًا ما فيه من وسائل فنية وجمالية.

أما عن خطة البحث، فقد جاءت في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه: -

- التعريف بالشاعر.
- تعريف القلق وعلاقته بالأدب.

المبحث الأول: الدوافع الذاتية للقلق، وتتمثل فيما يأتي:

- العاطفة الوجدانية (الحب).
- الحزن.
- الشعور بالغربة.

المبحث الثاني: الدوافع الخارجية للقلق، وتتمثل فيما يأتي:

- الموت ومقدماته.
- الزمان وأحداثه.
- الإنسان وآفاته.

الخاتمة، وفيها تلخيص لأهم نتائج البحث.

والله ولي التوفيق.

التمهيد

أولاً: التعريف بالشاعر[١]

ولد الشـاعر والناقد عبد الرحمن محمد شـكري أحمد شـكري في الرابع عشـر من أكتوبر عام ١٨٨٦م في مدينة الإسـكندرية، لأبوين مصـريين من أصـل مغربي، وأبوه هو محمد شـكري بن أحمد شـكري بن حسـن عياد المغربي، نزح أجداده من عرب المغرب إلى مصـر، فانخرطوا في حياة المصـريين، واندمجوا مع فلاحيهم، وأخذوا من ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ولعل هذه العروبة الأصـيلة يعزى إليها ما عرف عن شـاعرنا من رصـانة الأسـلوب، وجودة السـبك، وبلاغة اللفظ، والصراحة والأنفة والحرية.

اتصـل والد الشـاعر برجال الثورة العرابية وخطيبها عبد الله النديم، وانضـم إليها مؤازرًا ونصـيرًا، مما عرضه للسجن أربع سنوات، والإبعاد عن وظيفته لمدة طويلة، وقد مات كل أبناء الرجل إبان تلك المحنة العصـيبة، وظل يعاني اضـطهادًا وإرهاقًا، حتى تشـفّع له والده فعُفي عنه، ثم عين معاون إدارة بمدينة بورسـعيد، وهنالك مكث في هذه الوظيفة بقية حياته، حيث ولد له ابنه عبد الرحمن، فاهتم به والده، خاصة بعد أن توفي من يكبره من إخوته، فألحقه أبوه (بالكتاب) حين بلغ الثامنة من عمره.

ثم تدرّج شكري في المدارس النظامية، فحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٠م، ثم انتقل إلى الإسكندرية لكي يلتحق بالمدرسة الثانوية برأس التين، والتي حصل منها على البكالوريا سنة ١٩٠٤م، ثم توجه إلى القاهرة، والتحق بمدرسـة الحقوق، غير أنه لم يلبث أن فصـلته السـلطات منها لما نسـبته

---

(١) ينظر ترجمة الشاعر في الكتب الآتية:

- د/ شوقي ضيف (الأدب العربي المعاصر في مصر)، صـ١٢٨، وما بعدها.
- نقولا يوسف (عبد الرحمن شكري حياته وآثاره)، صـــ٣ وما بعدها، وهي مقدمة كتبها المؤلف لديوان عبد الرحمن شكري، ط المجلس الأعلى للثقافة، عام ٢٠٠٠م.
- د/ محمد رجب البيومي (عبد الرحمن شكري رائد الشعر الحديث وأحد أساطين الأدب العربي)، صـــ٣١، من المصدر السابق.

إليه من تحريض للطلاب على الإضراب والثبات على مواجهة المحتلين، الأمر الذي حدا به إلى تغيير وجهته العلمية، والاتجاه لدراسة الآداب مما يتفق وطبيعته الشاعرة، فالتحق بمدرسة المعلمين العليا عام ١٩٠٦، وتخرج في طليعة المبرزين منها عام ١٩٠٩ بعد أن أخلص فيها لدراسة الأدبي العربي والإنجليزي، إلى جانب المواد الأخرى كالتاريخ والتربية وعلم النفس وغيرها. وبمدرسة المعلمين التقى برفاق دربه، وتوطدت الصلة بينه وبين إبراهيم عبد القادر المازني، الذي رافقه في حياته، وكان كلاهما شغوفًا بالأدب والشعر.

والمتأمل في حياة شكري يجدها مليئة بالعقبات، وغزيرة بالصعوبات؛ حيث وجد نفسه في مجتمع لا عدل فيه ولا مساواة، بل وجد احتلالًا ظالمًا، لا يرقب في المصريين إلا ولا ذمة، كمموا الأفواه، وكبتوا الحريات؛ الأمر الذي كان له بالغ الأثر في مسيرة شكري الشعرية والأدبية، ومن هنا انبثقت مأساة شكري، فثمة آمال عريضة في كفة، وأن تلك الآمال في الكفة الأخرى، والرجل لم يولد معقدًا، ولم يولد ميتًا، بل كانت ظروف الحياة عليه قاسية، وتجارب الأيام تعتصر نفسه، وتقض مضجعه، وتؤرق وجدانه، فسوداويته التي تنبري أحيانًا في شعره ليست مرضًا، بل هي وليدة ظروف اجتماعية، فهو لم يرفض الحياة قط، كما أن إيمانه بمسرات الحياة لم ينهزم، وإنما المسألة أن الآمال قد بلغت غايتها في تلك النفس الكبيرة الطموح، ولكن شاءت الظروف إلا تبدل من الأمل يأسًا، وتدفع الشاعر إلى أن يعيش عالمًا من الأحلام، ويمني نفسه أنه في عالم السعادة، ولكن لم ينل غايته، ولم يحقق مقصده، فتجلى في شعره نبرة حزينة شجية، ودفقات شعورية تشاؤمية.

وقد كان ذهنه الجبار سببًا في مأساته ومعاناته؛ إذ أتعب نفسه في التعليل والتفسير لأوضاع متناقضة تتعدد في دنيا مليئة بالغرائب والفجاءات، وقد رزق من رهافة إحساسه، وشبوب عاطفته ما عمق أغوار المأساة في فؤاده الملتاع، وبعقله الحصيف، وإحساسه الرقيق ناء تحت عبءٍ ثقيل من المحن، فضاق بالأحياء والحياة، وانزوى في ركنه الهادئ البعيد، حتى لقي ربه، فارتاح من متاعب الحياة، وصعوبات الأيام، واستراح من سهام الدهر وأحداثه.

وقد توفي شكري في ١٥ من ديسمبر سنة ١٩٥٨م، دارت حياته التي دامت اثنين وسبعين عامًا بين

الألآم والآمال، والأحزان والأشـجان، ترك فيها للمكتبة الأدبية كثيرًا من المؤلفات الشـعرية والنثرية، وقد ضم ديوانه الشعري ثمانية أجزاء، موزعة كما يأتي:

- الجزء الأول: ضوء الفجر ١٩٠٩-١٩١٤م.
- الجزء الثاني: لألئ الأفكار ١٩١٣م.
- الثالث: أناشيد الصبا ١٩١٥.
- الرابع: زهر الربيع ١٩١٦م.
- الخامس: الخطرات ١٩١٦م.
- السادس: الأفنان ١٩١٨م.
- السابع: أزهار الخريف ١٩١٩م.
- الثامن: وهي القصـائد التي نشـرت في الجرائد والمجلات، والتي لم تنشـر ولم تجمع بعد في ديوان ١٩٦٠م.

أما المؤلفات النثرية في عشرة كتب، كما يلي:

- كتاب الثمرات عام ١٩١٦م.
- حديث إبليس ١٩١٦م.
- الاعترافات ١٩١٦م.
- الصحائف ١٩١٨م.
- قصة الحلاق المجنون في الشعر العباسي ١٩١٩م.
- دراسات نفسية.
- بين القديم والجديد.
- نظرات في النفس والحيـاة... وغيرهـا من الكتـب والمؤلفـات التي أثرت المكتبـة الأدبيـة والنقدية.

ثانيًا: القلق وعلاقته بالشعر.

القلق عامل نفسي، واضطراب وجداني، يصيب الإنسان عندما ينتابه التفكير في هموم الحياة وأحداثها، ويخيم على نفسه التوتر بسبب مشاكل الدنيا وأحزانها؛ فينغلق على ذاته، ويشعر بالوحدة النفسية والغربة الروحية، والشعراء أرهف الناس إحساسًا، وأعمقهم شعورًا، وعندما يفكر الشاعر في همه الذاتي، أو عالمه الخارجي، فيجد نفسه حائرًا مضطربًا، يصور ذلك في تجاربه، ويعبر عن قلقه وأرقه في قصائده، وقبل الولوج في غمار هذه الدراسة ينبغي التعريج سريعًا على التعريف بالقلق من الناحية الفلسفية، وعلاقة القلق بالأدب والشعر.

تعريف القلق لغة واصطلاحًا:

القلق في اللغة:

تشير الدلالة اللغوية لكلمة (قلق) إلى الحركة وعدم الركون أو السكون، قال صاحب اللسان: "القَلَقُ: الانزعاج. يقال: بات قَلِقًا، وأقلَقَهُ غيره... وامرأة مِقْلاق الوِشاح: لا يثبت على خصرها من رقته. وأقْلَقَ الشيءَ من مكانه وقَلَقَه: حرّكه. والقَلَقُ: أن لا يستقر في مكان واحد، وقد أقلَقَهُ فقَلِقَ. وفي حديث عليّ: أقلِقُوا السيوف في الغمد أي حرِّكوها في أغمادها قبل أن تحتاجوا إلى سَلّها ليسهل عند الحاجة إليها. والقَلَقِيُّ: ضرب من الحلي؛ قال ابن سيده: ولا أدري إلى أي شيء نسب إلا أن يكون منسوبًا إلى القَلَق الذي هو الاضطراب كأنه يضطرب في سلكه ولا يثبت... "[1].

يُفهم من كلام ابن منظور أن القلق هو اضطراب في الحركة، وعدم الثبات على وضع معين، وكأن الإنسان المصاب بالقلق لا يثبُت على حال، ولا يستقر على هيئة، بل تتصارع نفسه، وتضطرب أفكاره، من كثرة التفكير، وشدة التوتر، وتمكن الخوف من قلبه.

ومن هنا نعلم أن للقلق دلالتين، إحداهما حسية، والأخرى معنوية، فالدلالة الحسية تتمثل في الاضطراب والحركة، والاهتزاز وعدم الاستقرار، أما المعنوية فتتمثل في خلل المشاعر، واحتياجه إلى السكينة والتوازن القلبي والنفسي، والحيرة والحزن الوجداني والروحي.

(١) ابن منظور (لسان العرب، مادة (قلق).

القلق في الاصطلاح:

من المعلوم أن مصطلح القلق من صميم علم النفس والدراسات السيكولوجية؛ إذ إنه يترجم كوامن النفس المضطربة، ويصور هموم القلب الوجِل، والفؤاد المتوتر، وعلى الرغم من أن كلمة القلق يستخدمها علماء النفس والفلسفة والنقد الأدبي إلا أن " معناها الحقيقي ليس واضحًا تمامًا، فقليل من الأشخاص هم الذين قد وصلوا إلى مرحلة النضج دون أن يخبروا القلق، ودون توقع القلق في المستقبل... ". (١)

ففي اصطلاح علم النفس جاء أن القلق هو "انفعال يتميز بالشعور بخطر مسبق، وتوترٍ وحزن مصحوب بتيقظ الجهاز العصبي"(٢)، فتوتر النفس وانفعالها؛ يُنتج القلق المصحوب بانفعال في الجهاز العصبي للإنسان.

وقيل في تعريفه أيضًا هو: "ضرب من ضروب الهستيريا أو الهرع... ينشأ عن الصراع الداخلي والكبت، وتتبدّى أعراضه لدى المرء من خلال الهلوسة ومشاعر القلق، والوسوسة والتبرّم والضيق المتواصل"(٣)، فالإنسان المصاب بالقلق لا يستقر حاله، بل يضطرب ويتزعزع، ويُصاب بالتوجس والخوف؛ نتيجة قلقه وتوتره.

وقيل أيضًا: "القلق يتضمن استجابة إحشائية ذاتية وهنا تصبح المسألة هي: كيف نميز بين القلق والخوف. وهناك تفرقه بأن للخوف مصاحبات فسيولوجية أشد، ولكن ليس هناك دليل على ذلك، ولكن المخاوف تتصل بأشياء أو بمواقف محددة، في حين أن القلق أكثر انتشارًا. إن الأشخاص القلقين لا يستطيعون أن يحددوا بدقة هذه الحالة الفسيولوجية. ولسوء الحظ بالنسبة لعلماء النفس أن

(١) حسن مصطفى عبد المعطي (علم نفس النموّ) ٢/ ٢٤٩، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: ليندا دافيدوف (مدخل إلى علم النفس)، ترجمة محمود عمر، فؤاد أبو حطب، صـــــ ٤٥٩، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠١٣م.

(٣) د/ أسعد رزق (موسوعة علم النفس)، صـ ٢٢١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط/ ٣ عام ١٩٨٧م.

هذه التفرقة لا توضح الأمور كثيرًا"[١].

وعند المتأخرين من فلاسفة الأخلاق، وعلماء النفس جاء أن القلق هو "استعداد تلقائي للنفس يجعلها غير راضية بالواقع، فإذا تطلع المرء إلى الأحسن والأفضل، ونظر إلى حياته الواقعية، فوجدها محفوفة بالمخاطر، بعيدة عن تحقيق ما يصبو إلى من الكمال والسعادة؛ أحس بالقلق والغمّ، كراكبٍ سفينةً في لُجِّ بحر، تعصف به الرياح من كل جانب، فلا يجد أمامه شاطئًا أمينًا يلتجئ إليه ولا معينًا ينقذه من الشقاء... " [٢]، وحينئذ تطلب نفس الإنسان الاطمئنان القلبي، والتوازن الروحي، فلا يجد ملجئًا سوى وازع الإيمان في فؤاده؛ فيلجأ إلى ربه عز وجل، طالبًا منه العون على مصائب الحياة، ونوائب الزمان.

وقد ميّزت الدراسات السيكولوجية بين نمطين للقلق، أحدهما طبيعي، والثاني غير طبيعي، "فالطبيعي: هو الذى يتكافأ في درجة قوته مع المخاطر أو المخاوف التي يواجهها الإنسان، وهو ذو طابع إيجابي؛ لأنه يحفز الإنسان على درء هذه المخاطر أو المخاوف، من خلال وقف الامتداد التلقائي للظروف. أما النمط غير الطبيعي فهو الذى لا يتكافأ في درجة قوته مع المخاطر أو المخاوف التي يواجهها الإنسان، وهو طابع سلبي؛ لأنه يحول دون أن يتصدى الإنسان للمشاكل التي يواجهها"[٣]، فالقلق إذن هو "انفعال غيرُ سارٍّ، وشعورٌ مكدَّرٌ بهديد أو همٍّ مقيم، وعدم راحة واستقرار، وهو كذلك إحساس بالتوتر والشدِّ، وخوف دائم لا مبرر له من الناحية الموضوعية، وغالبًا ما يتعلق هذا الخوف بالمستقبل والمجهول"[٤]؛ فيُصاب الإنسان بالانفعال النفسي، والتوتر القلبي، والقلق الروحي، الذي يَفقده التركيز، ويُبعده عن التوازن والاستقرار.

---

(١) حسن مصطفى عبد المعطي (علم نفس النموّ) ٢/ ٢٤٩.

(٢) د/ جميل صليبا (المعجم الفلسفي...) جـ ٢، مادة (قلق) صـ ٢٠٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ١٩٨٢م.

(٣) د/ صبري محمد خليل (القلق بين العلم والفلسفة والدين)، مقال منشور بالموقع الرسمي للدكتور صبري، رابط الموقع: https: //drsabrikhalil. wordpress. com

(٤) د/ أحمد محمد عبد الخالق (قلق الموت) صـ ٢٧، عالم المعرفة، الكويت، مارس ١٩٨٧م.

ومن هنا ندرك أن القلق في علم النفس مترجم لما في القلب من توترات، ومعبر عما في الجهاز العصبي من انفعالات، وهو حالة نفسية يصاب بها الإنسان، وقد يكون القلق عارضًا له أسابه ودوافعه التي يزول بزوالها، وقد يكون حالة دائمة خيمت على نفسية المرء؛ فيكون القلق سجية ومرضًا نفسيًا يصاب به.

ومما لا شك فيه أن القلق ملازم لحياة الإنسان منذ الأزل؛ فالإنسان في خوف مستمر، وقلق دائم؛ بسبب التفكير في المصير، وانقضاء الأجل المحتوم، فكلما مر يوم على ابن آدم؛ زاد قلقه وخوفه من النهاية الحتمية، التي لا مفر له منها.

علاقة القلق بالأدب:

مر بنا آنفًا أن القلق من صميم العلوم النفسية، التي تبحث في خوالج النفس البشرية، وتتعمق في دواخلها، والقلق من صفات الإنسان، وخواص الآدميين، لا يتصف به غيرهم، ولا يتمثل في سواهم من الكائنات والمخلوقات، والإنسان بوجه عام عندما تضيق به الحياة، وتتصارع على قلبه الهموم، وتتكالب عليه صروف الأيام؛ ينغلق على نفسه، ويتقوقع على ذاته، ويُصاب بالتوتر، ويُبتلى بالقلق والاضطراب، والعلم الذي يهتم بدراسة نفسية الإنسان، والتوغل في عالمه الداخلي هو علم النفس، والدرس السيكلوجي؛ ومن هنا كان من مناهج الدراسات الأدبية المنهج النفسي، الذي يصب محور اهتمامه على دراسة نفسية المؤلف، ومدى فرحه وحزنه، وتفاؤله وتشاؤمه، وسكونه وقلقه، وراحته وأرقه.

ومن أكثر العلوم التي أفاد منها النقد الأدبي في تحليل النصوص وقراءتها هو علم النفس؛ حيث استخدمه الأدب في كثير من قضاياه النقدية والإبداعية، وتتجلى مهمة علم النفس في الدراسات الأدبية والنقدية من خلال "تحليل الشخصيات من الداخل، وإبراز العلاقة الجدلية والعضوية بين واقعها النفسي وواقعها الاجتماعي، وكيف يؤثر هذا بدوره على العلاقات والصراعات بينها، ويُشكل بالتالي الشخصية المميزة للعمل الأدبي كشكل فني متكامل، وكوحدة جمالية عضوية؛ لذلك يفيد التحليل النفسي في دراسة الدوافع الكامنة وراء السلوك الاجتماعي للشخصيات، بحيث يلقي الضوء على

الصـــراعات التي تدور في وجدانها مع بيان مدى التوافق أو التعارض أو التصـــادم بين تيار الشـــعور واللاشعور عندها وبين تيار المجتمع السائد حولها"[١].

ولا يخفى على المتأمل أن القلق والتوتر والانفعال والخوف والأمان والفرح والحزن والتفاؤل والتشـاؤم كل هذه الأمور وغيرها من صـميم علم النفس؛ لأنها من خواص الإنسـان وطبيعته. والقلق ملازم للإنســان طوال حياته، يؤرقه ولا يفارقه؛ لأنه يعيش دائم التفكير في حياته ومعيشــته، ومجتمعه وقضـايا أمته؛ فيخالطه الحزن والفرح، والخوف والأرق، هذا بالنسـبة لطبيعة الإنسـان بشـكل عام، أما الإنســان الأديب فإنه مرهف الإحســاس، رقيق الشــعور، يخاطب بأدبه المشــاعر، ويناغي الوجدان؛ فكان بذلك أشـد إحسـاسًا من الإنسـان العادي، الذي تمر عليه أحداث اليوم مرور الكرام، أما الأديب فإنه يبلور أدبه في قضــايا مجتمعه، ويتأثر بما في واقعه من أحداث ووقائع، فيصــور في تجاربه الأدبية لواعج قلبه، وغصات وجدانه، في صورة أخاذة، وشكل جذاب.

أما الشعراء من الناس فهم أكثرهم إحساسًا، وأشدهم انفعالًا بواقعهم، وتأثرًا بمجتمعهم؛ فكانوا أكثر قلقًا وأرقًا من غيرهم، لا سيما إذا أمعن الشاعر نظره في قضايا أمته، وانتابه التفكير في هموم قومه ووطنه، وخيّم على نفسه الشعور بالموت ودنو الأجل، إضافة إلى ظروف الحياة القاسية، وفعل الزمن وتأثيراته التي تنغص عليه حياته، وتقض مضــجعه؛ فيتجلى هذا كله على تجاربه الشــعرية، وتتكثف إبداعاته بالاضطراب والقلق والحزن والأرق.

وليس ثمة شك في أن الأدب تعبير عن خوالج النفس، وتصوير لكوامن الوجدان، وترجمة للشعور والإحساس، "فالعمل الإبداعي هو استجابة للمؤثرات النفسية التي تخص الأديب؛ لكونه صادرًا من مجموعة القوى النفســية الذاتية، والأديب يصــور ما في داخله من أحاســيس، ويعبر عما في واقعه من أحداث، إذن فالإبداع الأدبي صـورة مصـغرة لنفسـية الأديب، ونتاج نفسـي وفكري وشـعوري لما في داخله، ووظيفة الأدب هي التأثير في نفوس المتلقين، والتفاعل بين المؤلف والمتلقي، إما بالإيجاب

(١) د/ نبيل راغب (التفسير العلمي للأدب: نحو نظرية عربية جديدة)، صـــ١٣٤، المركز الثقافي الاجتماعي، بدون تاريخ.

وإما بالسلب، وهذا التأثر لا يتأتى إلا من خلال التعمق في النصوص، وسبر أغوارها، والتفاعل النفسي والوجداني مع المؤلف؛ من أجل الوصول إلى المغزى واقتناص المقصود.

ويعد التحليل النفسي للعمل الأدبي "علمًا بالإنسان بما هو كذلك، أي: بوصفه علمًا يستمد أصوله من دراسة الإنسان في أخص أحواله، وفي مقدمة هذه الأحوال المرض، حيث تدفع الإنسان معاناته وآلامه إلى البوح بما يضمر، فإذا بالحقيقة تتكشّف شيئًا فشيئًا، وإذا بالظاهر السافر يكشف عن باطن خفي، وإذا بالساذج البسيط يفتق عن عمق أكثر اكتنازًا وتعقيدًا، وإذا وراء "الشعور" المعلن "اللاشعور" المضمر، وإذا بمظاهر الإعلان والتعبير عن هذا الشعور تنطوي على إعلان آخر، وعلى تعبير مغير، بل مناقض عن لا شعور، وإذا بالشعور الظاهر نفسه لا يعدو أن يكون إنكارًا لهذا اللاشعور ونفيًا، والتحليل النفسي هو العلم الذي استطاع أن يكشف عن الوجه الآخر الخفي للإنسان في وحدته الجدلية بهذا الوجه الظاهر، ولم يكشف التحليل النفسي عن مضمون هذا الوجه ومحتوى هذا الباطن الخفي، بل كشف كذلك عن شكل هذا الوجه أو اللغة التي يعلن بها الوجه عن نفسه من خلف أقنعة الإنكار والنفي والتزييف، فهو قد كشف لنا عن لغة اللاشعور"[1].

ومن هنا تتجلى العلاقة القوية بين الأدب وعلم النفس، وبين الظواهر النفسية والنقد الأدبي؛ ذلك أن "النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدبُ النفس، تجمع أطراف الحياة؛ لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس، والنفس التي تتلقى الحياة لتصنع الأدب، هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة، إنها دائرة لا يفترق طرفاها إلا لكي يلتقيا، وهما حين يلتقيان يضعان حول الحياة إطارًا؛ فيصنعان لها بذلك معنى، والإنسان لا يعرف نفسه إلا حين يعرف للحياة معنى"[2].

والشاعر هو أكثر الناس تفاعلًا مع همومه الخارجية والداخلية، حيث ينتابه إحساس بالتوتر

(١) د/ عفيف عبد الرحمن (الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا) صـ ٢٦٣، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط/ ١/ ١٩٨٧م.

(٢) د/ عز الدين إسماعيل (التفسير النفسي للأدب) صـ٥، مكتبة غريب، القاهرة، ط/ ٤، بدون تاريخ.

والقلق؛ نتيجة ضغوط الحياة وقسوتها؛ فيظهر ذلك واضحًا جليًا في تجاربه، ويتكثف شعره بالظواهر النفسية الكثيرة، التي من أبرزها القلق الروحي، والتوتر والانفعال، والخوف والاضطراب، وعدم الاستقرار، فتكون دفقاته الشعورية عبارة عن ترجمة لما في ذاته من هموم وأحاسيس؛ ومن هنا كان على الناقد أن يتعمق في نفسية الشاعر؛ بحثًا عن العلائق الدلالية، والحالة النفسية التي كان عليها المؤلف في أثناء التجربة، وقبل تصويرها وتجسيدها في شكل عمل فني؛ فيسهل على القارئ إبراز المعنى، وتوضيح الدلالة، وتأويل النص؛ لذلك كان للدراسات النفسية عظيم الأثر في تحليل النصوص الأدبية وتأويلها.

المبحث الأول: الدوافع الذاتية

مر بنا آنفًا أن القلق من مصـطلحات العلوم النفسـية، التي تبحث في مضـامين النفس البشـرية، وتتناول ما يعتريها من انفعالات وتوترات نتيجة أحداث حياتية يمر بها الإنسان، فمنذ أن وجد الإنسان على ظهر الأرض "وهو يعاني أزمة الحياة وما فيها من خير وشـر، وورد وشـوك، وأمل ويأس، ونور وظلمة، وسرور وفرح، فليست حياة الإنسان مشرقة دائمًا، ولا مظلمة دائمًا، بل تلتقي فيها الصفحتان، تارة تكون نقية صافية، وتارة تكون كدرة قاتمة، ومرد ذلك في جملته إلى ضعف الإنسان وقصوره تجاه الكون من جهة، وإزار مطامحه من جهة أخرى، أما الكون فإنه يُشعره دائمًا بأن قدرته محدودة، وأنه إن حقق مطالبه أو بعضـها في الحياة؛ فالموت له بالمرصـاد، ولا بد أن يختطفه في سـاعة من ليل أو نهار، طالت حياته أو قصرت"(١).

ومن هنا كان الإنسـان قلقًا، ينتابه الشـعور بالفناء، ويؤرق وجدانه الإحسـاس بالنقص والعجز، والشعراء أكثر الناس إحساسًا، وأشدهم شعورًا بنوائب الأيام، وأحداث الزمان، ومن ثم كان الشعر سلوانًا لهم، يعبرون فيه عن ما يعتمل في قلوبهم، ويصورون من خلاله ما يختلج في نفوسهم، والشعور بالقلق كان ديدن الشـعراء منذ القدم؛ إذ صـوّر الشـاعر العربي منذ العصـر الجاهلي حياته النفسـية في تجارب شعرية معبرة، ودفقات شعورية مؤثرة، وقد كان للعوامل الاجتماعية والسياسية والنفسية كبير الأثر في قلق الشاعر وتوتره، هذا بالنسبة للشعراء العرب في العصور المتقدمة.

أما الشـاعر العربي في العصـر الحديث فقد تكاثرت همومه، وزاد قلقه واضـطرابه؛ نتيجة الظروف المعيشـية، والأحداث السـياسـية، والآفات الاجتماعية، تلك الأمور التي كانت نتائجها سـلبية على الشـاعر العربي، ومن أكثر الشـعراء في هذا الاتجاه عبد الرحمن شـكري، الذي ظهر التشـاؤم جليًا في تجاربه، وكثر القلق والتوتر والاضـطراب في قصـائده، وفي هذا الفصـل حديث عن تلك الدوافع التي جعلت (شكري) في طليعة شعراء القلق.

وقد يخلو الإنسـان بنفسـه، ويفكر في حياته المعيشـية، وهمومه النفسـية؛ فيصـاب بعدم الراحة،

(١) د/ شوقي ضيف (دراسات في الشعر العربي المعاصر) صـ ١٠٥، دار المعارف القاهرة.

ويخيم على قلبه الشعور بالخوف من كل شيء، من الواقع الحياتي، ومن المصير الحتمي، والمطالع للتجارب الإبداعية في ديوان شكري يجد أن أغلب هذه التجارب تجلى فيها القلق الروحي، وكثر فيها التشاؤم من الحياة وما فيها من آفات وعقبات، وكان دافع هذا القلق يتمثل في الهموم النفسية، والاضطرابات الذاتية، التي أصابت الشاعر في حياته، فأرقت وجدانه، وأقضت مضجعه، ومن أبرز هذه الدوافع الذاتية ما يلي:

أولاً: العاطفة الوجدانية (الحب).

عرف الشعراء الحب والبغض منذ العصور القديمة، ومثلت هذه العاطفة عندهم محور اهتمام كبير، وكان للمرأة الدور الأكبر في التجارب الشعرية؛ لأنها شغلت أفكارهم، وكانت سببًا في توهج مشاعرهم، وتوقد أحاسيسهم، وقد كانت عاطفة الحب في الأدب الكلاسيكي نابعة من وجدان الشاعر، ومعبرة عما يكمن في قلبه من حب عميق، وشعور دافق، وإحساس صادق، في تجارب شعرية تفيض عذوبة ورقة، وتتكثف بالشفافية الخالية من أي شائبة تدنس صفاء الحب ونقاءه.

وفي الاتجاه الرومانسي في الشعر الحديث تفاوتت صورة المرأة؛ حيث "أدى السمو بالعواطف إلى نوع من تقديس المرأة والإشادة بها، والخضوع لسلطانها خضوعًا ليس مصدره الخنوع والضعف، بل ينبع من صدق العاطفة، وكثيرًا ما يخضع الشجعان والفرسان لمن يحبون من النساء خضوعًا لا يمس رجولتهم، ولا يغض من قسمة اعتدادهم بأنفسهم تجاه الأحداث أو أمام الناس، وقد أحست المرأة بمكانتها لدى الرومانتيكيين؛ فكانت تشعر بسلطانها، وتعتقد أنه لها من المواهب والصفات ما يجعلها معشوقة أكثر منها عاشقة "[1] غير أن ثمة قليلًا من شعراء الرومانسية ينظرون إلى المرأة على أنها شيطان يضل الناس، ويغويهم، ويؤدي بهم إلى الهلاك، ويرشدهم إلى طريق الغواية والضلال.

وإذا تأملنا في طبيعة الحب العذري القديم، والحب الرومانسي الحديث وجدنا أن هناك "تطابقًا عظيمًا بينهما؛ إذ إن كلا الفريقين يتوجه بعاطفته إلى الروح لا الجسد، ينشد الثابت لا المتغير، الجوهر

(١) د/ محمد غنيمي هلال (الرومانتيكية) صـ١٧٠-١٧١، نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.

لا الحائل، وكلا الفريقين يرى الحب ضرورة للنفس من أجل أن تحيا وتتجدد، ضرورة للإنسان ليؤكد من خلاله ذاته"[١]، فالعاطفة في المدرستين قوية، والإحساس صادق، والمشاعر جياشة متدفقة، كل شاعر يعبر عما في قلبه بطريقته الخاصة، ويصور ما في نفسه بشفافية وإخلاص.

وقد تأثر عبد الرحمن شكري بالمدرسة الرومانسية في رؤيته للمرأة، ونظرته إلى الحب، لا سيما تأثره "بما قرأه من آراء الرومانسيين وفكرهم وفنهم، وبخاصة ذلك التراث من الشعر الغنائي الإنجليزي الذي أتيح له منذ صباه عندما كان يطالع في كتاب (الذخيرة الذهبية) لشعراء الإنجليز"[٢].

وقد كان الاتجاه الوجداني عمومًا والحب على وجه الخصوص في حياة شكري عاملًا أساسيًا من عوامل القلق الروحي، ودافعًا من دوافعه؛ حيث كانت حياة شعراء الديوان مليئة بالأزمات النفسية الحادة، التي كانت نتيجة للظروف الحياتية الخاصة، وطبيعتهم الجانحة إلى التمرد على كل قديم، والثورة على كل وضع، بالإضافة إلى "إحساسهم بالمرارة والحزن العميق لما يرونه من مظالم وآثام تفتك بالمجتمع، ومعاناتهم الواعية للمتاعب والعقبات، التي سدت الطرق إلى ما كانوا يرون أنفسهم جديرين به من مجد... ولذلك فقد نضجت هذه الحالة النفسية في أشعارهم، فملأته بالتشاؤم والأنين والشكوى من الظلم وقسوة الحياة"[٣]، وكان شعرهم تعبيرًا صادقًا عن حياتهم المأساوية، وكان عبد الرحمن شكري أكثر الشعراء الثلاثة تشاؤمًا، وأشدهم قلقًا؛ وقد كان الحب والمرأة سببًا أساسيًا في قلقه واضطرابه، وعاملًا مهمًا من عوامل حزنه واغترابه.

ومن أبرز النماذج التي تحدث فيها شكري عن الحب في صورة قلقة، ورؤية مضطربة، ولغة تشع

(١) د/ السعيد محمود عبد الله (المرأة في وجدان الشاعر العربي) صـ١٠٠، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٥م.

(٢) د/ عبد الفتاح عبد المحسن الشطي (عبد الرحمن شكري ناقدًا وشاعرًا) صـــ ٢٩٦، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩م.

(٣) د/ حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث من ١٨٨١ - ١٩٣٨م)، صـــ ٢٥٦-٢٥٧، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

بالحزن والألم قصيدته التي بعنوان (مناجاة الحبيب)، والتي يقول فيها: (١)

لَـوْ أنَّ أشــجانَ الـفـؤادِ تُـطـيـعَـنـي ... لَـنَـظَـمْـتُـهَـا لَـكَ في الـقـريـضِ نسـيـبَا
أوَ مـا عَـلِـمْـتَ بـأنَّـنـي لَـكَ عـاشِـقٌ ... أفْـنَـى الـزَمَـانَ صَـبَـابَـةً ونـحـيـبَا
يـا بُـؤْسَ مَـنْ سَـكَـنَـتْ إليـهِ لِـحَـاظُهُ ... أنْ كُـنْـتَ أنـتَ عـلـى الـمُـحِـبِّ رقـيـبَا
أرنـو إلـيـكَ فَـتَـحْـتَـويـنِـيْ هَـيْـبَـةٌ ... فـأرُدُّ طَـرْفِـيَ خـاشـعًـا مـغـلُـوبَـا
مـا حـيـلـةُ الـطَّـرْفِ الـذلـيـلِ إذا كَـبَـا ... أنْ كـانَ شَـخْـصُـكَ فِيْ الـفـؤادِ مَـهـيـبَا
يـا نـظـرةً تَـهْـدِي الشـجـونَ وَتَـنْـتَـضِـيْ ... سـيـفًـا مـن الـطَّـرْفِ الـكَـحِـيْـلِ مُـصِـيـبَا
ويُـعِـيْـذُكَ الـقـلـبُ الـذي عـانَـى الـقَـلَـى ... مِـنْ أنْ تَـكـونَ عـلـى الـجَـفَـاءِ مُـعِـيْـبَا

في هذه الأبيات يناجي الشاعر محبوبته بخطاب يتسم بالرقة والعذوبة، وأبيات شعرية "تعد ترنيمة حب يسكب فيها أنبل مشاعره، ويضمنها خلجات نفسه التي تذوب شجنًا وصبابة، ويبدو منها إشفاق شكري على محبوبته من الحب"(٢)؛ فيتأثر قلبه، ويهيج قلبه وصدره بالحب العميق، والغزل الرقيق، فيخاطب تلك المحبوبة أن أشجان قلبه وأحزان وجدانه لو أطاعته؛ لنظم منها أبياتًا في الغزل والتشبب بها وبصفاتها وخلالها، ثم تأتي بقية الأبيات لتصور ما في قلب الشاعر من حب صادق، وشعور دافق بالحب والعشق.

ولا يخفى على القارئ أن الشاعر في هذه الأبيات يكسوه الأسى، ويخيم على نفسه الحزن والقلق؛ نتيجة هذا الحب، الذي أرق قلبه، وأقض مضجعه؛ فأصبح غير قادر على النوم والراحة، ومن هنا يبث إلى محبوبته بهذه الأبيات؛ ليصور لها حالته النفسية التي يعانيها، ومشاعره الوجدانية التي يخفيها؛ فأصبح قلقًا مضطربًا، لا يذوق طعم الراحة النفسية، ولا يشعر بها، فقلبه مضطرم بالحب، ونفسه مشتتة من التفكير في المحبوبة؛ ولما كانت نفس الشاعر مضطربة، ومشاعره قلقة؛ تشكلت أبياته من

---

(١) عبد الرحمن شكري (الديوان) صـ١٤، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

(٢) د/ عبد الفتاح الشطي (عبد الرحمن شكري ناقدًا وشاعرًا) صـ٣٠٤.

مفردات توحي بهذه الحالة النفسية، فالكلمات: (أشجان، نحيب، بؤس، مغلوب، الذليل، الشجون، عانى، الجفاء) توحي إيحاء مباشـرًا بما في قلب الشـاعر من أحاسـيس كامنة تجاه هذا الحب، الذي سـبب له القلق النفسـي، والاضـطراب الروحي، فحبيبته التي ملأت قلبه، وملكت نفسـه وعقله تبخل عليه بالوصال، وتضن عليه بالقرب، ومع كل هذا التملك فالشاعر لا يكِنُّ لها إلا كل هيبة ووقار، حتى أنه عندما ينظر إليها؛ تحتويه الهيبة؛ فيرد طرفه ويغض بصـره خاشـعًا مغلوبًا، وليس هذا إلا دليلًا على الحب العفيف، والغزل العذري المشـبع بالقلق الروحي، والأرق الفكري والوجداني؛ ولذلك يصـور هذه اللواعج القلبية في تلك الأبيات من القصيدة ذاتها، فيقول: [1]

لـو ذاقَ طـعـمَ الـحُـبِّ كُـلُّ مُـؤَنِّـبٍ قـلـبـي لصـــار الـعـاذلـون قـلـوبـا
هـل نـافـعـي أنِّـي أكَـتِّـمُ لَـوعـتـي عَـمَّـنْ يَـظَـلُّ بِـمَـنْ بـمـا أُسِـــرُّ لَـعِـوبَـا؟
عـجـبًـا لـطـرفي يســتـريـحُ إلـى الـبُـكـا مـن بـعـدِ مـا كـانَ الـبـكـاءُ غـريـبـا
مـا أخـلـقَ الـدَنِـفَ الـمَشُـــوْقَ بسـلـوةٍ إن كـان لا يـرجـو الـمـحـبُّ حـبـيـبـا

اختتم شكري قصيدته ومناجاته لمحبوبته بهذه الأبيات، التي تظهر قلقه، وشدة أرقه، وكثرة شجنه المتواصل بسبب المحبوبة التي ضنت عليه بالوصال، ولم يجد منها سوى الهجر والبعد؛ ومن ثم خيم على وجدانه القل، وسـيطر على قلبه الاضـطراب والأرق، فأصـبح يسـتريح إلى البكاء الذي كان قبل ذلك أمرًا غريبًا.

ومن تجارب الغزل والحب في شعر عبد الرحمن شكري أيضًا، والتي كانت دافعًا من دوافع القلق، وسببًا من أسبابه، قصيدة له بعنوان (الحب والليل)، والتي يصور فيها لواعج قلبه، وكوامن وجدانه في ساعات الليل، وأوقات السحر.

(١) عبد الرحمن شكري (الديوان) صـ ١٥.

يقول: (١)

عَمِيَ الدُّجَى عن مَطلع الفجرِ ... في ليلةٍ كسريرةِ الدهرِ
وَلِعَ البكاءُ بناظِرَيَّ كما ... وَلِعَ الندى ببدائِعِ الزَّهْرِ
والرَّوضُ ممتَنِعُ الرُّقادِ وقدْ ... نَمَّتْ عليهِ مواقعُ القَطْرِ
والليلُ مشقوقُ الجُيُوبِ وقد ... باح السحابُ بطلعةِ البدرِ
والطرْفُ بالإفشاءِ مُتَّهَمٌ ... والقلبُ مُتمَنٌ على السرِّ

في هذه الأبيات يصور شكري ما في قلبه من أحاسيس الحب، وآهات الوجد، ويوظف مظاهر الطبيعة من حوله في ساعات الليل، فيبين أن الدجى قد عمي عن مطلع الفجر وظهور النهار؛ ففاضت عينه بالبكاء كما يفيض الندى على بدائع الزهور، وأن الروض قد امتنع عن الرقاد، ففي هذه الساعات التي يكثر فيها الصفاء والنقاء، ويخلو الإنسان بنفسه خيم على قلب الشاعر الإحساس بالوحدة، والشعور بالاغتراب؛ نتيجة هجر المحبوبة وصدها، ولذلك تأتي بقية الأبيات لتصور لواعج هذا الحب، الكامن في قلب الشاعر، والذي كان سببًا في قلقه، ودافعًا من دوافع أرقه، يقول شكري: (٢)

وأكادُ أنْ لا أستقرَّ جوًى ... فكأنما خلسَ الدجى صبري
وأملْتُ أن أجدَ الوسيلةَ لي ... عندَ الصبا فمُنيتُ بالهَجْرِ
لا تلحُ مشتاقًا على شجنٍ ... إن الشباب مطيةُ العذرِ
والسعيُ رزقٌ والهوى أملٌ ... والهجرُ يأكلُ جدَّةَ العمُرِ
والحبُّ إن دبَّ السلوّ به ... فكما يدبُّ الشرُّ في الخيرِ
والصفوُ قد يُفضي إلى كَدَرٍ ... واليسرُ قد يفضي إلى عسرِ
من ناوَشَت نظراتُهُ حسنًا ... فقد استثارَ الموتَ بالسحْرِ

(١) عبد الرحمن شكري (الديوان) ، صـ١٨.

(٢) السابق، صـ١٨.

لا يخفى على القارئ أن وجدان الشاعر مفعم بالإحباط، ومكثف باليأس والقنوط؛ نتيجة صد هذه المحبوبة، وكثرة هجرها وابتعادها، فما أطول الليل المليء بالقلق! وما أشد مرور ساعاته على قلب الإنسان العاشق! الذي لا يجني من الحب سوى أرق القلب، وغصة الفؤاد؛ الأمر الذي يقر في يأس بأن الحب الذي يدب في قلب الإنسان الخالي هو بمثابة الشر الذي يقتحم أبواب الخير، والكدر الذي يعكر نقاء الصفو، والعسر الذي يأتي بعد اليسر، فمن تطرق الحب إلى قلبه، وناوشت عيناه حسنا؛ فقد استثار الموت بالسحر، وكان سببًا في تنغيص قلبه، وتكدير صفو حياته بالقلق والأرق.

وهكذا كان الحب عاملًا أساسيًا من عوامل القلق في تجارب شكري الشعرية، ودافعًا من دوافع اضطراب عاطفته وشعوره بالانفعال النفسي، والقلق الروحي والوجداني؛ نتيجة صد المحبوبة وهجرها، أو نتيجة عاطفته المفعمة بالحب الصادق، والشعور الدافق، والنماذج الشعرية في دواوين شكري أكثر من أن تحصى في هذا الأمر، وحسب البحث أن يضع بين يدي القارئ بعضًا من تلك النماذج الدالة على أن الحب سبب من أسباب القلق، ودافع من دوافعه وعوامله.

ثانيًا: الحزن.

إن نفس الإنسان تتأثر بالأحداث من حولها، وتتفاعل مع الوقائع التي تدور في المجتمع، والشعراء بطبيعة حالهم أرهف الناس شعورًا، وأكثرهم إحساسًا وتعبيرًا عن واقع الحياة، لا سيما في الفترة الزمنية التي كان الاحتلال الأجنبي جاثمًا على صدر الأمة، مستبيحًا لكل مصادرها الحيوية وطاقاتها البشرية، وقد نتج عن هذا الواقع المزري نغمة الحزن في كتابات الشعراء، وقد كان لهذه الظروف الاجتماعية والسياسية أثر بالغ في نفس عبد الرحمن شكري، فقد أدت به هذه الظروف إلى بروز النزعة التشاؤمية الواضحة في تجاربه الإبداعية، ودفقاته الشعورية، "ورغم ما كان يعانيه الشاعر من يأس فقد كانت بوارق الأمل تلمع أمام عينيه، من خلال ظلمة الواقع وظلماته، فيعبر عن أتواقه إلى الغد الأفضل، وعن تطلعه إلى عالم المثال، وقد ضاق بعالم الواقع"[1] المليء بعوامل القلق، والمكثف بالضبابية والحزن.

(١) د/ عبد الفتاح الشطي (عبد الرحمن شكري ناقدًا وشاعرًا) صـ ٢٠١.

وقد كانت نبرة الحزن في شعر شكري واضحة جلية؛ حيث عبر عنها في تجارب شجية، وعواطف قوية، ولعل أبرز ما يوجه إلى تلك النزعة الحزينة، والنظرة التشاؤمية هو أن الشعراء عمومًا، -وشكري على وجه الخصـوص- أصـبحوا "يلحون على إبراز جانب واحد من الحياة، هو جانب القتامة فيها، وأنهم يغمضون عيونهم عن جانب البهجة"[١]، غير أن ظروف الحياة الأليمة، والواقع الملبد بالضباب والغيوم قد جعل نفس الشـاعر شـجية حزينة، يبرز في تجاربه جانب القتامة من الحياة، التي يعاني مآسيها، ويكابد أحزانها، ويصارع أيامها.

وقد تحدث شكري عن الواقع الذي عاش فيه، ووصف حالة الشباب في عصره، وكيف أن الحزن قد خيم على نفوسهم، وسيطر القلق والهم على قلوبهم؛ نتيجة الواقع السياسي المزري تحت قبضة المحتل الأجنبي، انخرط الشعراء والأدباء بهذا المجتمع، الذي تحكمت فيه "عوامل متعددة ومتباينة، ومتناقضة في كثير من الأحيان، من سياسية واقتصادية واجتماعية، تتفاعل وتؤثر في حياة الفرد، وتحدد مصيره، وتطبعه بطابع خاص، كما تمده بطائفة من الاتجاهات الفكرية، التي تتمثل في مذاهب فلسفية وخلقية يعتنقها، ويؤمن بها، ويدافع عنها"[٢]، ولما كان هذا المجتمع كثير التناقض، يدعو إلى الحزن والقلق؛ قال عنه شـكري في كتابه الاعتراف: "الشـباب المصـري في حالة أمتنا الاجتماعية الحاضـرة عظيم الأمل، ولكنه عظيم اليأس، وكل منهما في نفسـه عميق مثل الأبد، والسـبب في ذلك أن حالتنا الاجتماعية تستدعي الأمل واليأس"[٣]، ولا شك أن هذا الواقع كان له عظيم الأثر في التجارب الشعرية لدى شكري؛ حيث عبر عما في نفسه من أشجان حزينة، وأحاسيس مؤلمة، وقد كان هذا الحزن عاملًا أساسيًا من عوامل القلق الروحي، والانفعال النفسي.

---

(١) د/ عز الدين إسماعيل (الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) صـ٣٠٢، المكتبة الأكاديمية ١٩٩٤م.

(٢) د/ نفيسة داخلي عبد الرازق (ظاهرة الحزن في الشعر السوداني المعاصر)، صـ١٠٧، مركز إبداع للطباعة الحديثة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

(٣) عبد الرحمن شكري (الاعتراف وهو قصة نفس)، صـ٤، الإسكندرية ١٩٩١٦م.

والمتأمل في تجارب شكري الشعرية يجد أن عليها مسحة حزينة، وطابع النغمة الآسرة، التي تجعل المتلقي يعيش في عالم الشاعر الداخلي الحزين، ويمكن الاستشهاد على الحزن لدى شكري ببعض من هذه الأشعار، والتي من أبرزها ما قاله في قصيدته التي بعنوان (غاية الحب)، والتي صور فيها أشجان قلبه، ولواعج وجدانه في نغمة حزينة، وتجربة شجية، يقول فيها مخاطبًا من يهواها: (١)

أما رحمةٌ ترجى لديكم لبائسٍ ... حزينٍ عليلٍ، حبه لك ظاهرُ؟
وفي القرب لو تدنو دواءٌ لهمِّهِ ... وإنك إما غبت فالهمُّ حاضرُ
فيا بؤس نفسي منك يا بؤس عيشتي ... أما آنَ أن تُغْشَى المنايا البواكرُ؟
أما آنَ أنْ ألقى حِمامًا يُريحُني ... فتهدأُ أضلاعي وتهدا المحاجرُ؟
أما آنَ أنْ ألقى قضاءً يُميتُني ... فيرتاحُ حُسَّادي وتسلو العواذرُ؟
فينسانيَ الخلُّ الوفيُّ لميتتي ... كأنْ لم نكنْ والحيُّ للحيِّ ذاكرُ
وينسانيَ الوغدُ اللئيم لميتتي ... ويرتدُّ عني نابُهُ والأظافِرُ!
أما آنَ أنْ أنسى الحياةَ ولُؤمَهَا ... فلا طمع يُردي ولا اليأس ذاعرُ؟
أما آنَ أنْ يبكي ليَ الأهلُ طرفةً ... وأُصبِحُ ممَّنْ غَيَّبَتْه المقابرُ
وأُصبحُ لا قلبي يُجنُّ بذكركم ... ولا أنا مهجورٌ ولا أنا هاجرُ

في هذه الأبيات تفيض نفس الشاعر حسرة وحزنًا على الحياة ومأساتها، وما فيها من منغصات وأزمات، ولعل ذلك راجع إلى تأزم العلاقة العاطفية بينه وبين محبوبته، أو راجع إلى تملك الحزن من نفسه، وتمكن اليأس من وجدانه وقلبه؛ الأمر الذي دفعه إلى الانطواء على الذات، والتفكير في المصير والمآل، فإذ بالأحداث تتكالب على قلبه، والمنغصات الحياتية تنهش في وجدانه، فيتملك من نفسه حسرة النفس، وحزن الفؤاد، فيتمنى الموت الذي ربما يكون خلاصًا من هذا العذاب، ونجاة من الحُساد والعذال، وهروبًا من حياة الهم والوصب، التي تتصارع فيها النفوس المريضة، فأصبح لا يجد

(١) شكري (الديوان) صـ ١٦١-١٦٢.

خلًا وفيًا، ولا حبيبًا مخلصًا، ولا إنسانًا يعطيه حقه، ويقدره حق قدره.

والمتأمل في اللغة الشعرية التي تشكلت منها الأبيات يجد أنها ملائمة تمامًا لما في نفس الشاعر من حزن، ومعبرة عما يشعر به من شجن وقلق؛ وثمة علاقة قوية بين الشاعر ولغته التي يستخدمها، وتراكيبه ومفرداته التي يصور بها تجربته، ولعل سر هذا يكمن في أن الشاعر "أكثر انقيادًا واستسلامًا إلى اللاوعي اللغوي، بسبب ما يملك من إحساس مرهف مشحون، وروح محتشد زاخم؛ حتى يكاد الشعر يصبح سلسلة من الرحلات في الأعماق الباطنة للغة، يقوم الشاعر بإحداها في كل قصيدة يبدعها... "[1]، فالألفاظ المستخدمة في تلك الأبيات معبرة تمامًا عما يكمن في قلب الشاعر من لواعج حزينة، وآهات شجية أليمة، وكأنه يستحث القارئ؛ لكي يعيش هذا الجو النفسي الأليم، ويتفاعل مع هذه الأحاسيس الأثيرة، ويختم شكري قصيدته بتلك الأبيات، المعبرة عن نفس حزينة، خيم الحزن عليها، وتمكن الهم والقلق من وجدانها؛ فأصبح الموت قريبًا من قلبه، يسري دبيبه في خفقات فؤاده، يقول شاعرنا: [2]

إذا ما الرَّدَى بالمرءِ حلَّ قضاؤهُ ... رويدك لا تُغني لديه المغافرُ

وإني أحسُّ الموتَ يسري دبيبُهُ ... بروحيَ حتى فيهِ منهُ بوادِرُ

نعيتُ لكم نفسي ف لا لومَ بيننا ... فوقْعُ المنايا بيننا متواترُ!

فإمّا غدًا أو بعد ذاك وإنما ... تُغادِي المنايا شملَنا وتُباكرُ

سلامٌ عليكم حيثُ كنتُم فإننا ... سيهلَكُ منا أوَّلٌ ثُمَّ آخرُ!

ومن هنا جاءت لغة الشاعر معبرة عن إحساسه، ومصورة لما في عاطفته؛ الأمر الذي يدل على "تمكن شكري من لغته، وإدراكه للكثير من أدواتها التشكيلية، فقد صور حزنه بلغة صافية عذبة،

(١) نازك الملائكة (سايكولوجية الشعر ومقالات أخرى)، صـ ١٠، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية (٩٨)، يناير ٢٠٠٠م.

(٢) شكري (الديوان) صـ١٦٢.

تحمل عواطفه ومشاعره في تصوير بديع، وطلاقة تعبيرية"[١]، تفاعل معها القارئ، وأحس بما في نفس الشاعر من أسى وحزن؛ نتيجة التأزم النفسي، والانفعال الروحي مع متاعب الحياة وهمومها.

ولعل هذه الأحاسيس الحزينة، والتجارب الأثيرة كانت نتيجة حتمية للظروف المعيشية التي عانى شكري آلامها، وكابد أحزانها؛ فتبدى هذا الحزن على لغته الشعرية، وتجاربه الإبداعية، وكانت تلك التجارب تصويرًا رائعًا لما في نفسه من حزن، وتعبيرًا عما في قلبه من شجى وهم، فكانت عاملًا أساسيًا من عوال قلق الشاعر روحيًا، واضطرابه فكريًا، وانفعاله نفسيًا ووجدانيًا.

ومن هذه التجارب التي يشع منها الحزن الذاتي، ويكسوها الأسى والانفعال القلبي تلك القصيدة التي بعنوان (حلم بالبعث)، والتي عبر فيها الشاعر عن لواعج قلبه، وخوالج وجدانه ونفسه، في لغة شعرية معبرة، وتجربة شعورية مؤثرة، وفيها يصور ما يحلم به بعد موته، وكيف أنه سيكون بعيدًا عن تجارب الحياة الأليمة، ودنيا الناس الكئيبة، ففي القبر لا يسمع صوتًا يزعجه، ولا همًا يؤرقه، ولا عدوًا ينغص عليه راحته، ولا بكاء ولا ضحك ولا أمل... يقول شكري في هذه القصيدة: [٢]

رأيتُ في النَّومِ أنِّي رهنُ مَظْلَمَةٍ ... من المقابرِ مَيْتًا حولهُ رِمَمُ
ناءٍ عن الناس لا صوتٌ فيُزعجُني ... ولا طُموحٌ ولا حِلْمٌ ولا كَلِمُ
مُطَهَّرٌ من عُيُوبِ الناسِ قاطبةً ... فليسَ يُطرِقُنِي همٌ ولا ألمُ
ولستُ أشقى لأمرٍ لستُ أعرفهُ ... ولستُ أسعى لعيشٍ شأنُه العدمُ
فلا بكاءٌ ولا ضحِكٌ ولا ألمٌ ... ولا ضميرٌ ولا يأسٌ ولا ندمُ
والموتُ أطهرُ من خُبْثِ الحياةِ وإنْ ... راعَتْ مظاهرَهُ الأحداثُ والظُّلَمُ
ما زلتُ في اللحدِ ميْتًا ليس يلحقُني ... نبْحُ العَدُوِّ وبي عن نبحهِ صممُ

إن المتأمل في هذه التجربة الحزينة ليجد أن في أبياتها وكلماتها وترًا حزينًا، لا يصدر إلا عن نفس

(١) د/ حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث)، صـ ٣٦٠، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(٢) شكري (الديوان) صـ١٧٣.

مهمومة، وقلب حزين مكلوم؛ فتبعث في نفس المتلقي الشجى والحزن؛ لأنها صادرة عن نفس قلقة متشائمة، لا تنظر إلى الحياة وما فيها ومن فيها إلا بمنظار أسود، ولا تبصر ما في الوجود إلا في الجانب الكالح، ومن هنا تراءى للشاعر حلمٌ في يقظته، فتخيل أنه في عالم آخر، بين رفات الأموات، وظلام القبور، بعيدًا عن منغصات الحياة ومتاعبها وآلامها وأحزانها، نايئًا عن كل ما يعكر صفوها، ويكدر عيشها من هموم وأحزان، فإذ بهذا العالم الغيبي أفضل بكثير من عالم الواقع المشاهد، ومن هنا يقرر أن الموت أطهر من خبث الحياة ودنسها، وأفضل من قلاقلها وأحداثها.

ثم تأتي بقية الأبيات لتكتمل الصورة القاتمة، والتجربة النفسية المؤلمة، يجسد فيها شكري ما يحدث للإنسان بعد الموت، وفي أثناء البعث والنشور، وذلك في إشارات رمزية موحية، وتأملات فلسفية مؤثرة، يقول فيها الشاعر: (١)

مرَّتْ عليَّ قُرونٌ لستُ أحفظُها ... عدًّا كأنْ مر بي الآبادُ والقدمُ
حتى بُعِثتُ على نفخِ الملائكِ في ... أبواقهم وتنادتْ تلكم الرممُ
وقام حولي من الأموات زعنفةٌ ... هوجاءُ كالسَّيلِ جمٌّ لجَّهُ عرمُ

ومن هنا ندرك ما في نفس الشاعر من أحزان قلبية، وأشجان وجدانية؛ جعلته ينظر إلى الحياة نظرة متشائمة قاتمة، ويرى أن الموت سبيل النجاة مما فيها من صراعات وأحقاد وآثام، فلا سعادة بين أناس تملك في نفوسهم الطمع والجشع، وتمكنت في قلوبهم العداوة والضغائن، ومن ثم فعالم الغيب أفضل بكثير من عالم الشهادة، وظلام القبر ورفات الأموات أطهر من خبث الحياة وحقد الأعداء.

وليس ثمة شك في أن هذه الأحزان القلبية، والأشجان الذاتية التي سيطرت على نفس عبد الرحمن شكري، وخيمت على قلبه وشعوره كانت عاملًا أساسيًا من عوامل القلق الروحي، والانفعال الوجداني والنفسي، والتي كان لها أثر كبير على التجارب الإبداعية للشاعر، ووسمت تجاربه بسمات التشاؤم والتمرد والرفض لكل ما هو موجود في المجتمع من تناقضات وآفات ومغالطات.

(١) شكري (الديوان) صـ١٧٣.

ثالثًا: الشعور بالغربة.

يعد مصـطلح الاغتراب من المصـطلحات التي ذاعت وانتشـرت في الأوسـاط الأدبية والنقدية والفلسـفية والنفسـية؛ ذلك أنه يعبر عن مكامن النفس، ويصـور خوالج الوجدان، ويعبر عن خفايا الضـمير، وقد عدَّ بعض الباحثين الاغترابَ "ظاهرة إنسـانية وجدت في مختلف أنماط الحياة الاجتماعية، وفي كل الثقافات، ولكن بدرجات متفاوتة؛ ذلك أن الاغتراب قد يعني الانفصـال وعدم الانتماء، ويعرّف أيضًا بأنه وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته والبيئة المحيطة به، وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق"[(١)].

والمطالع للدراسات النقدية والفلسفية الحديثة يجد أن الدلالة الاصطلاحية لكلمة الاغتراب قد شابها الغموض، واكتنفها الإبهام والتمويه؛ ولعل ذلك يرجع إلى كثرة من كتب، وتداخل التخصصات التي تناولت المصطلح بالشرح والتفسير، ومع ذلك فإن أغلب "تلك الجهود التي قيلت نجدها تلتف حول أشـياء معينة بالذات، وتدور حولها، وتشـير أغلبها إلى إلى دخول عناصـر معينة في مفهوم الاغتراب، مثل: الانعزال، والوحدة، والغربة، والانفصـال، والانخلاع، والتخلي، والانتقال، والتجنب، والابتعاد... " [(٢)]، والحاصـل من تلك الاختلافات أن الاغتراب أو الغربة النفسـية هو مصـطلح ينم عن أن صـاحبه ذو نفسـية معقدة، يكتنفها القلق، وتخيم عليها المعاناة النفسـية، والانفعالات الوجدانية، والتي تنتج عن أسباب ذاتية أو سياسـية أو اجتماعية، لا سـيما الظروف التي تنجم عنها أزمات العصـر من قهر وظلم وكبت، "فضـلًا عن الدوافع الأخرى المتمثلة في النزاعات والصـراعات السـياسـية والاجتماعية، وما ينتج عنها من تعسـف واضـطهاد"[(٣)]، وليس من شـك في أن تلك الدوافع تدفع الإنسان إلى الشعور بالغربة، والإحساس بالتوحد؛ فينغلق على ذاته، وينطوي على

(١) د/ أحمد علي الفلاحي (الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية)، صـ ١٣، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط/ ١/ ٢٠١٣م.

(٢) المرجع السابق، صـ ١٤.

(٣) المرجع السابق، صـ ١٦.

نفسه، فلا يحب مجالسة الناس ولا يرغب في حديثهم.

والشعراء أكثر الناس إحساسًا بنوائب الأيام، وأحداث الزمان؛ لا سيما إذا تراكمت عليهم الأوجاع، وتثاقلت على قلوبهم الهموم والأحداث، وأصابهم الدهر بسهامه، وتكالبت عليهم الدنيا بمصائبها وصروفها؛ فيصورون في تجاربهم ما يعتمل في نفوسهم من أحاسيس، وما يعتصر في قلوبهم من مشاعر، في دفقات شعرية معبرة، وتجارب إبداعية مؤثرة، وفي الشعر العربي الحديث تعددت المدارس، وتنوعت الاتجاهات الإبداعية، التي جعلت من الاغتراب إحساسًا عامًا، كمدرسة الديوان والمهجر وأبوللو، "وقد وفرت هذه المدارس الشعرية الحديثة فرصة ذهبية لأحاسيس الغربة والوحدة والعزلة أن تبرز نفسها أغراضًا وموضوعات مستقلة، على شكل تجربة متكاملة، بعد أن كانت أبياتًا متفرقةً، ينفِّس الشاعرُ القديم بها عن ظلم مجتمعه وعصره وإنسان ذلك العصر"[1].

والمطالع للتجارب الشعرية لدى عبد الرحمن شكري يجد أن الإحساس بالغربة النفسية قد خيم على أغلبها؛ حيث برز هذا الجانب بروزًا واضحًا في كثير من القصائد والمقطوعات، ولعل ذلك راجع إلى الظروف النفسية التي كان يعاني منها شكري، ويكابد آلامها، وكذلك الظروف الاجتماعية التي كان يعيشها في حياته، والأحداث السياسية التي كانت سائدة آنذاك؛ حيث الاحتلال الأجنبي الذي كمم الأفواه، وكبَت الحريات، واستولى على خير البلاد واقتصادها، وقد كان الشعور بالغربة النفسية، والاغتراب الروحي سببًا أساسيًا من أسباب القلق ودوافعه لدى شاعرنا.

وقد تكاثرت النماذج الشعرية في دواوين عبد الرحمن شكري، والتي دلت على إحساس الشاعر بالغربة الروحية، والانعزال عن الواقع؛ لعدم تحقيق الراحة النفسية مع الناس، أو لإحساسه بكثرة التناقضات، وشيوع الخداع والنفاق بين أبناء المجتمع؛ ومن هنا انكفأ الشاعر على نفسه، وانغلق على ذاته، يعبر في تجاربه عن أحاسيس قلبه، وغصات وجدانه، ومن أبرز هذه التجارب ما يلي:

(١) نورة السفياني (ظاهرة الاغتراب في شعر القرشي)، صـ ٢٢٠، مجلة علامات في النقد الأدبي، عدد ٥٨، ١ ديسمبر ٢٠٠٥م.

في مقطوعة شعرية لشكري بعنوان (ضرر اليأس)، يقول الشاعر: (١)

أخـذَ الـقـنـوطُ عـلـيـكَ كـلَّ وسـيـلـةٍ مـنْ حـيـثُ لـمْ يَـتْـرُكْ لِـرأيِـكَ مـنـزِلا
والـيـأسُ إن يَـعْـرِضْ لِـعَـزْمَـةِ عـازمٍ بـلَـغَ الصَّـمِـيـمَ وحـال مِـنْ أنْ يَـعْـمِـلا
لـولا مـزاولَـةُ الـتَّـجَـهُّـمِ مـا رأتْ هـذي الـرَّذِيـلَـةُ في فُـؤادِكَ مَـدْخـلا
فـإذا نَـهَـجْـتَ مـن الـتَّـفَـكُّـرِ مـنـهَـجًـا فـاجـعـلْ فـؤادَكَ لـلـطَّـلَاقَـةِ مَـوئِـلا
كـم طـالـبٍ وَجَـدَ الـتَّـجَـهُّـمَ مَـغْـنَـمًـا حَـتَّـى ثَـنـاهُ الـيـأسُ عَـنْ طَـلَـبِ الـعُـلا

في هذه الأبيات يخاطب عبد الرحمن شكري نفسه على آلية التجريد؛ حيث يجرد من ذاته إنسانًا يخاطبه، ويبث إليه لواعجه، فيبين أن القنوط واليأس قد خيّم على نفسه، وتمكن من قلبه ووجدانه؛ فأصبح بلا رأي أو وجهة، ويأتي البيت الثاني يوضح أن اليأس إذا تمكن من نفس الإنسان؛ أصبح بلا عزم أو رشد، وكأن الشاعر يدعو الإنسان اليائس القنوط إلى أن يزيل من قلبه هذه المشاعر القاتلة، التي إذا خيمت على نفس صاحبها؛ أصبح بلا أمل ولا عمل، فكم من إنسان قد طلب العلا، وأراد السموق، ولكن منعه يأسه، وحبسه قنوطه عن مواصلة طريقه، وتحقيق حلمه، وهنا يكمن ضرر اليأس الذي أراد شكري أن ينبه القارئ إليه، وكأن الشاعر هنا يصور ما في قلبه من إحساس بالغربة الروحية، والاغتراب الشعوري؛ فيبين أن اليأس قد أصابه، والقنوط قد تمكن من نفسه؛ فأصبح بلا رغبة في شيء، وبلا أمل في الوصول إلى العلا؛ فكم من إنسان قد طلب المجد والعلوَّ، ولكن اليأس قد ثناه عن هدفه، وصده عن طلبه.

ويتجلى الشعور بالغربة أيضًا في تجارب شكري الشعرية في قصيدة بعنوان (ضيقة حال)، والتي يبين فيها لواعج نفسه، وخوالج قلبه، فيعاتب دهره، ويلقي باللوم على الزمان ونوائبه، وعلى أحداث الأيام وصروفها، التي تنوشه بين الحين والآخر، ولا تترك له إحساسًا بسعادة أو سرور.

(١) شكري، (الديوان)، صـ٢٢.

فيقول شكري:[1]

أُعـاتِـبُ دهـري أو تـهـونُ خـطـوبُـهُ وأعـذلُ حـالـي والـدمـوعُ تُـئـيـبُـهُ
وكـيـف ألـومُ الـدهـرَ فـيـمـا يُـريـبُـني وأحسـنُ شـيءٍ في الـزمـانِ عُـيُـوبُـه
سـأنـدبُ حـظـي والأمـاني شـواردٌ كـأني سـقـيـمٌ قـد جـفـاه طـبـيـبُـهُ
إذا عـبـث الـدهـرُ الـلـئـيـمُ بـبـائـسٍ فـحسـبُ نصـيـبي أن مثلي نصـيـبُـهُ
وصـرْتُ كـمـا شـاء الـزمـانُ مُـخَـيَّـبًا يُـعـاتـبُـني قـلـبـي كـأني رقـيـبُـهُ
ودافـعـتُ آمـالـي كـأني سـئـمـتُـهـا وأخـلـفـنـي صـبـري كـأني أُريـبُـهُ

في هذه الأبيات يتجلى الإحساس بالغربة النفسية، والصراعات القلبية التي خيمت على نفس الشاعر ووجدانه؛ فنراه يعاتب الدهر بما فيه من آلام وأحزان، وفي ذات الوقت تنهمر دموع عينيه، وآهات قلبه؛ نتيجة تراكم الهموم، وتلاطم الأحداث؛ وإذ به يتعجب من سؤاله الدهر: كيف ألومه فيما يصيبني ويريبني، والحال أن أحسن شيء في الزمان عيوبه وأحداثه، ثم يندب حاله، وينعي حظه؛ لشرود أمانيه، وهروب سعادته، كأنه مريض قد جفاه الطبيب، وسئم من حاله، وأيس من شفائه، ثم صار يندب خيبة أمله، وسوء مآله الذي أراده له الزمان، وحكمت به الأيام؛ فيعاتبه قلبه كأنه رقيب على أحاسيسه وآهاته، ومن شأن الرقيب أن يعرف كل شيء عمن يراقبه، ولعل في هذا إشارة إلى أن قلب الشاعر مليء بكل خير، ومتطلع إلى تحقيق السعادة ولو كانت قليلة.

ولا يخفى على المتأمل أن الشاعر هنا يرسم صورة مليئة بالحزن، ومكسوة الأسى، يملؤها التشاؤم والضجر، شكّلها الشاعر من مفردات موحية بما في قلبه من أحاسيس قوية، ومصورة لما في نفسه من صراعات داخلية، ففي الكلمات (خطوبه، الدموع، ألوم، يريبني، سأندب حظي، مخيبًا، سئمتها...) إشارات واضحة، تبرز تأزم الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر؛ نتيجة الإحساس بالغربة، والشعور بالوحدة، ولعل هذا الإحساس القاتل، والشعور المؤرق كان نتيجة لمشاعر عاطفية قد

(١) شكري، (الديوان)، صـ٣٦.

خيمت على نفس شكري، وأقضت مضجعه؛ فأصبح لا يشعر إلا بالاغتراب، ولا يتجرع إلا مرارة الأسى؛ ولذلك تأتي بقية القصيدة مصورة لحال الشاعر، ومعبرة لما في قلبه من آهات نفسية، وصراعات عاطفية، يقول شكري: (١)

وضاقت بيَ الآمالُ حتى كأنها ... فؤادُ محبٍّ غاب عنهُ حبيبُه

أضنُّ بصدري أن يُلِمَّ به الأسى ... على الخطب إلا أن يضيقَ رحيبُه

ولا أرقُبُ الآمالَ إلا تعللًا ... لعلَّ الذي يعدو المرادَ يصيبُه

سأذكُرُ أيامًا نعمتُ بلبسها ... إذا ما شدا عند النضير خطيبُه

وما أنا ممن لا يُعَزَّى فؤادُه ... إذا خنا جدٌّ أو تناءى قريبُه

وللمرء أحوال تريدُ عزيمةً ... يذود بها عن قلبه ما ينوبه

إذا كان دون الشيب للمرء مانعٌ ... من الموت لم يَجْرُؤْ عليه مشيبُه

يتجلى في هذه الأبيات أن الشاعر يعيش حالة نفسية مضطربة، يشعر فيها بآلام قلبية، وصراعات داخلية؛ نتيجة الإحساس بالاغتراب الروحي والنفسي في عالم مليء بالقلاقل، وزمان ممزوج بالهموم والأحداث، فالآمال قد ضاقت على قلبه، والأحزان قد خيمت على نفسه، فأصبح حاله شبيها بالإنسان العاشق والقلب المحب الذي غاب عنه حبيبه، يتجرع مرارة الفراق، ويتألم بسبب البُعد والهجر، وهذه طبيعة شكري؛ يمزج بين الحب والصراع النفسي، وبين الوجدان والقلق الروحي، إذا استوحش من دلال محبوبته، وضاق به السبيل من وصلها؛ رأى الموت أفضل من حياة تملؤها مثل هذه الأحاسيس القاتلة، وتأتي بقية الأبيات مصورة لمآسي الشاعر القلبية، وآهاته النفسية، ومعبرة عما في وجدانه من إحساس بالغربة، وشعور بالوحدة؛ نتيجة تأزم الحياة، وتلاطم الهموم، وتراكم الأحداث، ولا شك أن "هذه السوداوية التي وجدت في شعر شكري، لا سيما شعر الحب والوجدان تكشف النقاب عن شخصية الشاعر، وهو غلبة التفكير العقلي عليه حتى وهو يحب، تنتابه الأفكار العقلية،

(١) شكري، (الديوان)، صـ٣٦.

فهم رغم تأجج عاطفته في تجاربه إلا أنه يسترسل مع التجربة بعقله بتصور الفيلسوف، وحكمة العالم، فهو يجمع بين النقيضين، العاطفة الشاكية المتمردة المتشائمة، والعقل الواعي الفاهم الذي يحلل، ويناقش، ويفند، ويذهب بحرارة العاطفة أحيانًا"[١].

وهذا يظهر بوضوح في الأبيات السابقة؛ حيث يمزج الشاعر ببين العاطفة والعقل، ويربط بين التفكير العقلي والإحساس القلبي، فهو يرى أن قلبه يضن إذا ضاق به الأسى، وضل به الطريق، كما أنه لا يرقب الآمال ولا يرجوها إلا تعللًا؛ عسى أن يصيبه ما يتمناه من سعادة منشودة، وآمال مرجوة، وقد ألح شكري مرارًا وتكرارًا على العاطفة في التجارب الشعرية، حتى إن هذا الإلحاح قد أوهم بأنه لا يرى للفكر نصيبًا في الإبداع؛ وذلك قد أشار إلى أن "الشعر عاطفة وتفكير معًا، وأنه مهما اختلفت أبوابه فإن كلًا منها له نصيبه من التفكير، وحكمة الشاعر هي تجاربه وخواطره في الحياة، تلك الخواطر التي يتنجها الشعور والتفكير"[٢]، ومن هنا يكون إحساس الشاعر بالغربة النفسية، والوحدة الروحية جليًا في تجاربه الإبداعية؛ ذلك أنه قد مزج بين عاطفته الجياشة، وتفكيره العقلي الفلسفي، واستطاع أن يصور أحاسيسه في تجربة عقلية معبرة، ودفقة شعورية مؤثرة.

وقد كان شكري شاعرًا مرهف الإحساس، رقيق الشعور، ينتابه مثل ما ينتاب غيره من آلام الحب، واكتواء القلب بناره، لا سيما إذا هجرته محبوبته، وأقضت مضجعه بفراقها، فيصبح في حالة تأزم نفسي، واضطراب روحي ووجداني، يتأرق وجدانه، ويعتصر قلبه بنار الفراق، فيمزج بين التفكير والعاطفة، ويربط بين إحساسه بالحب وبين تفكيره الفلسفي، وتكون هذه الأحاسيس المتضاربة، والمشاعر المتناقضة سببًا في الإحساس بالغربة، والشعور بالانفراد والوحدة، ويتجلى هذا الإحساس في مقطوعة شعرية بعنوان (حالات الحب) صور فيها ما في نفسه من خوالج قلبية، وعبر عما في وجدانه

(١) ينظر: يسري سلامة (شاعر الوجدان) صـ ١٤٥.

(٢) د/ شفيع السيد (نظرية الأدب دراسة في الممدارس النقدية الحديثة)، صـ٩١، دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة، ط ٣/ ٢٠١٤م.

من آهات نفسية، يقول شكري: [1]

ما ليعيني خانها الدمعُ ولا عذرَ للعين إذا لم تَسْجُمِ
نَفِدَ الدمعُ على طول البكى فاستعارَ الحبُّ لحمي ودمي
أنا والآلامُ تستهدفُني نادمٌ لو كان يُغني ندمي
قد كرهتُ النومَ حتى إنني لو أتاني طيفُكم لم أنَمِ
ما أُبالي والهوى يُبْرِئُني إن رماني حاسدٌ بالتُّهَمِ
هانتِ الأنفُسُ في الحب فلا ترحمُ العاشقَ إن لم يسقمِ
إن أعنتَ الصبَّ في حمل الهوى هَزِئَتْ أعضاؤهُ بالألمِ
قد منعتَ الوصلَ من غير قَلَى فارضَ لي الصدَّ إذا لم يَحرُمِ

في هذه الأبيات يصف شكري حالته النفسية التي أرقت وجدانه، وأقضت مضجعه؛ نتيجة تأزم الحالة الوجدانية بينه وبين محبوبته، فيذكر أن عينه قد خانتها دموعها، نتيجة طول البكاء، وشدة الألم، الذي أصاب قلبه ونفسه، وغير خاف على المتأمل أن الشاعر لا يقتصر على تصوير عاطفته الوجدانية، واكتواء قلبه بنار الحب فحسب، بل إنه ينزع إلى عاطفة حارة، وإحساس قوي.

وهذا باب واسع لدى تلك المدرسة الشعرية (مدرسة الديوان)؛ "لأنه شعر وجداني متميز، له مذاق خاص، وطبيعة متفردة، ويختلف عن شعر الحب، وشعر الغزل الذي نجده في الشعر العربي قديمه وحديثه، وقد اختلط بهذا النزوع العاطفي ما أحاط بحياتهم من أحزان وإخفاق وإحباط وطموح، فجاء التعبير عن هذا النزوع العاطفي متنوعًا جياشًا"[2]، فشاعرنا في هذه التجربة يصور حالات الحب على قلبه، وأثرها على نفسه، ويبين أنه قد كره النوم، ولو أتاه طيف محبوبته لا يستطيع

(١) شكري، (الديوان)، صـ٣٨.

(٢) د/ عبد العزيز الدسوقي (مدرسة الديوان وأثرها في الشعر) صـــ ٩٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مايو ١٩٩٦م، مكتبة الشباب ٤٤.

أن ينام، كما أنه أصبح لا يبالي إن رماه حاسد بالتهم، فقد هانت الأنفس في الحب والعشق، فلا ترحم تلك النفسُ العاشــق المســكين، وقد جعل الشــاعر من النفس معادلًا موضــوعيًا للحبيبة المتدللة، والإحســاس بأن النفس (الحبيبة) لا ترحم القلب المكتوي بنار الحب، ولا تجود عليه بمجرد الطيف ولو في ساعات النوم هذا في حد ذاته قمة التشاؤم، وحدة في الإحساس بالألم، والشعور بالغربة حتى من أقرب الناس إليه نفسه (حبيبته).

والمطالع بتجارب شكري الشعرية في جميع ديوانه يلمس تلك الحالة النفسية التي أصابت الشاعر من عاطفة حادة، وانفعال وجداني، وإحســاس غالب بالتشــاؤم والقلق والتمرد العنيف على الواقع بما فيه ومن فيه، ولعل هذه الإحساس راجع إلى "عوامل متشعبة؛ حيث كان شكري الطفل الوحيد الذي أبقى عليه الموت لوالديه، ونتج عن هذا إحســاس أهله بالقلق والخوف عليه، مما انعكس أثره على نفسـيته، كما أنه وجد والده الذي أسـهم بمجهوده المتواضـع في ثورة عرابي يناله ما يناله المخلصـون لأوطانهم أحيانًا من الاضــطهاد والنكال؛ فزاد ذلك من قلقه ونظرته المتشــائمة للحياة"(١)، بالإضــافة أيضًــا إلى اطلاعه على الآداب الغربية التي ســاهمت بشــكل كبير في تأثره بالاتجاه الرومانســي الحزين، والذي زاد من همومه وقلقه، وأثر على حياته وتجاربه، فاتســـمت أشـــعاره في أغلبها بطابع الحدة والتشــاؤم، وتجلى فيها الإحســاس بالهموم والآلام؛ نتيجة القلق الروحي، والاغتراب النفســي الذي خيم على قلب الشــاعر ووجدانه؛ ولذلك يصــور تلك الحياة الكئيبة في تجربة معبرة بعنوان (قلب اليائس)، يقول فيها: (٢)

ضـــاق قـلـبي بـمـا يـجـنُّ ونـفـســـي بـمـا تشـــا
فـهـي كـالـبـيـت مـغـلـقٌ نـازحُ الأهـل قـد خـوى
راكـدُ الـجـوِّ قـاتـمٌ فـاســـدُ الـمـاءِ والـهـوى

(١) د/ حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث من١٨٨١ إلى ١٩٣٨م) صـــ ٢٦٠، دار الفكر العربي.

(٢) شكري، (الديوان)، صـ٢٥٣.

يُفْزِعُ المرءَ من صداه إذا ردَدَ الصدى
يحسب الجن قد ثوى جمعها فيه ما ثوى
أغبرُ اللون عابسٌ مُظلمُ الأرض والسما

القارئ لهذه الأبيات يرى مدى التشاؤم الذي يخيم على قلب شكري، ويجد الألم والحزن الدفين الذي يستكن في نفسه؛ نتيجة الإحساس القاتل بالغربة الروحية، والقلق النفسي، والحزن العميق، تلك المشاعر القلبية والآهات الوجدانية قد جلعت الشاعر يعيش هذه الحالة المتأزمة، التي يرى فيها نفسه كالبيت الخاوي، والمسكن المغلق، الذي يفزغ المرء من وحشته، ويصيب القلب بالخوف من مجرد رؤيته، وتتجلى هذه الرؤية المتشائمة، وهذا الإحساس القاتل بالغربة في تجربة وجدانية أخرى لشكري، وهي بعنوان (بيت اليائس)، يصور فيها مآسي قلبه، وغصات نفسه، فيقول: (١)

بنيتُ بيت الحياة أبغي في ظله مسكنًا فسيحا
جرى غرابُ القضاء نحوي ولم يكنْ طائرًا سنيحا
فأُرْعِشَتْ كَفُّ مَنْ بناهُ فلم يكنْ أُسُّهُ صحيحا
يغبقني طارقُ الرزايا من بعد ما علَّني صَبوحا
اعتادني الهمُّ غيرَ غبٍّ فلم يمتْ قلبيَ القريحا
كشاربِ السُّمِّ كي يصادي مِنْ عَلِّهِ سُمَّهُ صريحا
يا بيت سوء على ذراهُ ذو نعبةٍ همَّ كي يصيحا

ومن هنا تكون التجارب الشعرية عند عبد الرحمن شكري ممزوجة بالتأمل العقلي والفكري مع العاطفة القوية الجياشة، الممزوجة بالهموم النفسية، والمشاعر الحزينة الحية، وقد جاءت أغلب تلك التجارب معبرة عن نفس جريحة، وقلب مهموم، يعاني آلام الحياة، ويكابد أحزان الزمان؛ فتدفعه تلك الأحاسيس الذاتية إلى القلق والتأزم النفسي، والتشاؤم والاضطراب القلبي والوجداني، يتطلع إلى حياة

(١) السابق، صـ ٣٥٥-٣٥٦.

سعيدة، فلا يجدها، وتأمل نفسه في مستقبل أفضل، فلا يحقق أمانيه، ولا يجد في طريقه إلا سرابًا يحسبه الظمئان ماءً؛ فيخيم على قلبه ووجدانه الإحساسُ بالغربة، والشعور بالوحدة والعزلة، وتأتي قصائده وتجاربه معبرة عن تلك الأحاسيس، ومصورة لهذه المشاعر في صورة شعرية أخاذة، وتجربة شعورية جذابة.

المبحث الثاني: الدوافع الخارجية

مرّ بنا في المبحث السابق حديث مفصل عن الدوافع الذاتية التي أرقت وجدان الشاعر، وأقضت مضجعه، فتجلى في قصائده تجارب كثيرة يملؤها القلق والتشاؤم، قلق من الحياة بما فيها من آلام وآمال، وأحزان وأفراح، وتشاؤم من كل ما في دنياه من أوضاع اجتماعية وسياسية ونفسية؛ فتأزمت نفسه، واضطربت أحاسيسه، وجاءت قصائده معبرة عن حالته النفسية، ومصورة لخوالجه القلبية، وفي هذا المبحث حديث تفصيلي تحليلي عن الدوافع الخارجية، التي لا يد للشاعر فيها، ولا بد من وجودها؛ غير أنها كانت أسبابًا واضحة في إحساس شكري بالقلق، وشعوره بالهم والأرق، ومن أبرز هذه الدوافع ما يأتي:

أولاً: الموت ومقدماته.

إن المطالع لمسيرة الشعر العربي منذ عصوره المتقدمة يجد أن قضية الموت قد شكلت عقدة كبيرة في تجارب الشعراء، فالموت يفرق بينهم وبين أحبابهم، ويقض مضاجعهم، ويؤرِّق وجدانهم؛ فيعبرون عن هذه الأحاسيس في أشعار يصورون فيها غصات قلوبهم، وأحزان نفوسهم؛ ولذلك كان للتشاؤم نصيب كبير في تلك التجارب الشعرية، لا سيما إذا اتسم العصر الذي يعيشون فيه بالاضطراب السياسي أو التقلبات الاجتماعية، فيكون الشعر صورة من نفوسهم الحزينة، ومعبرًا عن أحاسيسهم الأليمة، "ليس فيه رضًا ولا ما يشبه الرضا، وإنما فيه الكآبة والقلق، والتشاؤم والسخط... "[1]، وقد تجلت هذه الأحاسيس أكثر ما تجلت في شعر أبي الطيب المتنبي، الذي تجمعت في قلبه أحاسيس أثيرة، ومشاعر قاتمة حزينة ذات معان مظلمة، "ظل يرددها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، وكان يردد معها دائمًا تشاؤمًا واسعًا، لا في حقائق الناس وحدها، وإنما أيضًا في حقائق الحياة والموت، فكل ما في الكون عنده موشح بالسواد، وهو يلحن ذلك كله على قيثارته ألحانًا شجية"[2]، تعبر عما في نفسه، وتصور ما في قلبه، وما يقع على الناس من هموم وأحزان وأثقال.

---

(١) د/ شوقي ضيف، (دراسات في الشعر العربي المعاصر) صـ١٠٨.

(٢) السابق، صـ١٠٨.

وسار على نهج أبي الطيب أبو العلاء المعري، الذي زاد في هذه الألحان الشجية، وتعددت تجاربه في هذه الأحاسيس الحزينة، فأضحى التشاؤم عنده سلوكًا ومنهجًا، وأصبح فلسفة واضحة في تجاربه وأشعاره، وفي العصر الحديث كان للأحداث السياسية أثر كبير على نفسوس الشعراء، فالاحتلال الأجنبي قد كمم الأفواه، وكبت الحريات، واستولى على خيرات البلاد؛ فضاق الناس به ذرعًا، "ولم يكن الشباب المصري حينئذ مبتهجًا؛ بل كان حزينًا حزنًا شديدًا؛ إذ كان يعاني أزمة الحياة، وكان لا يستطيع تحقيق آماله؛ بل كان يرتد دائما عن تحقيقها بائسًا يائسًا. ومن هنا أصبح قرار النغم عنده قاتمًا، فالحياة قاتمة من حوله، ولا يستطيع شاب أن ينال منها غير الضنى والحزن والمرارة"[(١)]، وقد تأثر بهذا الواقع المؤلم شعراءُ مدرسة الديوان، وعلى رأسهم عبد الرحمن شكري، الذي تجلت في أشعاره هذه الأحاسيس المتشائمة، وتلك التجارب الحزينة، التي عبر فيها عن هذا الإحساس، وصور فيها قلقه الروحي واضطرابه النفسي؛ فكان الموت وفقدان الأحباب عاملًا أساسيًا من عوامل القلق، ودافعًا رئيسًا من دوافعه، ومن أبرز هذه التجارب التي تحدث فيها الشاعر عن الموت، قصيدته التي بعنوان (بين الحياة والموت)، والتي يقف فيها أمام موج البحر المتلاطم متأملًا، ويقول: [(٢)]

وقفتُ على البحرِ الخِضَمِّ عشيةً ... وللريحِ فيه والعُبابِ بوادرُ
وقدْ بَسَطَ الليلُ البهيمُ جلالَهُ ... وللسُّحْبِ نَوْءٌ هاطِلُ اللجِّ هامِرُ
وللرَّعدِ ضَحِكٌ رائعُ الصوتِ هائلٌ ... كأنّ ضجيجَ الرعدِ بالناس ساخرُ
أُقَطِّعُ قلبي بالبكاءِ وبالأسى ... وحبُّ الرَّدَى داءٌ دخيلٌ مُخامرُ
بكيتُ بكاءَ اليأسِ لا يأس مثلُهُ ... وقلتُ وبي من سانحِ الموتِ خاطرُ:
أجرْني من ظلم الحياةِ ولؤمها ... فإن شقائي مثلُ لُجِّكِ زاخرُ

إن الإنسان في حياته يتنابه بين الحين والآخر شعور بالفناء، وإحساس بانتهاء الحياة، وأنه لا مرد له من المصير الحتمي، وهو الموت وانتهاء الأجل، والشاعر على رأس بني جنسه في هذا الإحساس،

(١) د/ شوقي ضيف، (الأدب العربي المعاصر في مصر)، صـ ١٣٣، دار المعارف، القاهرة، ط/ ١٣، بدون تاريخ.
(٢) ديوان شكري صـ ١٥٣.

يشعر بالموت في كل مراحل حياته، فيصور تلك الأحاسيس في صورة شعرية مؤثرة، ويجسدها في تعبيرات أدبية معبرة، وعبد الرحمن شكري في هذه الأبيات يقف على شاطئ البحر متأملًا ما في الحياة من قلاقل وأحداث، ويتذكر الموت وما يؤول إليه الإنسان بعد انتهاء أجله، ويعبر شكري عن هذه الأحاسيس بالتأمل في صورة البحر وأمواجه المتلاطمة، وفي الريح وما تحدثه من ارتفاع الأمواج، وفي الليل البهيم وما يكتنفه من غموض وظلام، وفي السماء وما فيها من سحاب متراكم، وبرق وأمطار، ورعد كأنه بضجيجه يسخر من تكالب الناس وتصارعهم على الحياة.

ثم يأتي البيت الرابع ليجسد حرقة قلب الشاعر التي أقضت مضجعه، وأرقت وجدانه، فيبين أن قلبه يتقطع بالبكاء وبالأسى، ويعلنها صريحة أنه يتمنى أن يموت، ويرجو أن ينتهي أجله، حتى إن كان حب الهلاك داء دخيل ليس من طبيعة الإنسان، فإنه يبكي بكاء اليائس القانط، ويخاطب البحر بموجه المرعب، ومنظره المرهِب، ويأمره أن يجيره من ظلم الحياة ولؤمها، ونوائب الأيام وشؤمها، والمتأمل في هذه الصورة المعبرة يدرك أن الشاعر قد اتخذ من البحر وسيلة للهروب من هذا الحزن المخيم على قلبه، والمسيطر على كيانه؛ فهرع إليه، ونادى عليه، أن يريحه من هذه الحياة التي تعج بالأحزان والأشجان، وقد بث الشاعر شكواه إلى البحر؛ لأنه رأى أن بينهما تشابهًا وتقاربًا؛ فكما أن لُج البحر زاخر بأشياء لا يعلمها إلا الله؛ فكذلك شقاء الشاعر في الحياة مليء بالأحداث، ومضطرم بالأحزان، وزاخر بالآهات التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

ثم يُكمل عبد الرحمن شكري هذه الصورة الشجية، التي يملؤها الحزن والقلق، وتمزج بالشكوى والأرق، فيقول مخاطبًا البحر أيضًا: (١)

أرى كفنًا من نسجِ موجكَ أبيضًا ... تمزّقه الأرواحُ وهيَ ثوائرُ
وأنتَ مِهادٌ ليّنُ الطيِّ ناعمٌ ... ونعشٌ لمن يرجو الردى ومقابرُ
فأغرقَ ضحكُ الرعدِ شكوايَ ساخرًا ... وأُبْتُ بهذا العيشِ والقلبُ صاغرُ
أعالجُ صرفَ الدهر في غير مطمعٍ ... وأفعلُ ما تُملي عليّ المقادرُ

(١) ديوان شكري صـ ١٥٣.

ولكنني أرجو من الموت راحةً ويُفزعُني وقعٌ له وخواطرُ

يُكمل الشاعر شكواه، ويبث أنين قلبه، وغصات وجدانه إلى البحر، الذي اتخذ من رفيقًا وجليسًا يشكو إليه حاله، ويحكي له همه، ويتأمل في موج البحر المتلاطم، ويتخيل قاعه المظلم، ولجه الزاخر، ويرى في هذا البحر كفنًا أبيض ناصعًا تمزقه الأرواح الثائرة، وبينما الشاعر في هذه الشكوى إذ بالرد يصدر صوته الصاخب، وكأنه يسخر من حال هذا الشاكي، فما بعد راحة إلا لمن شاء الله له، وما في الحياة من سعادة إلا لمن قدّر الله له؛ ولذلك يرجع الشاعر إلى خضم الحياة بما فيها من أحداث وهموم، يعالج صروفها غير طامع فيها، يفعل ما قدّر الله له، ويرجو الراحة من الموت، ولكن هيهات هيهات، أين الراحة في الموت الذي يفزعه بفراق أحبابه، ويؤرق وجدانه بفقدان أصحابه، وتأتي بقية القصيدة معبرة عما يعيشه الشاعر من قلق دائم، وأرق متواصل، بسبب انتهاء الأجل، وانقضاء العمر، فيقول شكري معبرًا عن هذا العيش الذي يكتنفه القلق، ويمتزج بالخوف والقلق: (١)

وما العيش إلا الذئبُ تُدمَى نيوبُه وللعيش نابٌ قاتل وأظافرُ
ولكنه كالخمر تحلو لشاربٍ وإن سُلبت منه النهى والسرائرُ
فها أنا بين العيش والموت واقفٌ فهل مخبرٌ يدري متى أنا سائرُ؟
لعل الذي أرجو من الدهر واقعٌ فقد كان ما قد كنتُ دهرًا أحاذِرُ
عسى أن يعود العيشُ جمًا جمالُه ففي الروض فينانٌ وفي الأفق زاهرُ
ويكشفَ صرفُ الدهر عني غشاوةً من اليأس لا تجدي لديها البصائرُ
فلا تعذلاني بارك الله فيكما فإني بهذا العيش راضٍ وصابرُ!

يتجلى في هذه الأبيات خوف الشاعر وانشغال قلبه بهموم الحياة وصروفها، فيصور أن عيشه ما هو إلا ذئب ينهشه بنيوبه، وينقض عليه بأظافره، ولكنه مع هذا يسلب منه عقله، ويغيبه عن عالمه، كالخمر تُسكر شاربها وتسلب فؤاده، لكنها -مع هذا- هي أم الخبائث، التي تؤدي إلا الهلاك والدمار، وتأتي

(١) السابق صـ ١٥٣.

تلك الصورة مجسدة لإحساس الشاعر بالحياة والعيش فيها، تلك الحياة المليئة هموم وأحزان، تقض مضجع الشاعر، وتؤرق وجدانه، ولكنه مع هذا القلق راض بما في الحياة من صروف أشجان، وصابر على ما فيها من قلاقل وأحزان، ولعل نتيجة هذا الإحساس تجلت في هروب الشاعر من تناقضات الزمان وأحداثه، في غياب الحق الخير اللذين ينشدهما في عيشته، ويتمناهما في حياته، ولكن هيهات! أحس شكري بغربة نفسية، وقلق روحي من دنيا لا يرى فيها سوى البؤس والشقاء، ولا يجني إلا هباء، فأصبح حاله منها إلا كحال صاحب السراب الذي ظن أن في السراب ماء.

وتلك لعمري طبيعة الشاعر الذي يتفاعل مع نوائب الأيام، ويعبر عن أحداث الزمان، يصور ما يشعر به من مآس وأحزان، ويجسد بأدبه ما يعتمل في قلبه من هموم وأشجان، وتلك الحالة النفسية التي يعيشها أي شاعر لا شك أنها تفضي إلى "شخصية ذات ملامح وسلوك ومُثُل خاصة، شخصية ذات طبيعة متناقضة، مترددة، صاحبها ضعيف، يواجه العالم وحيدًا، ضائعًا، حائرًا، تأخذه الشكوك والأوهام والوساوس كل كرف، يسلّم بخشونة الواقع، لكنه يستسلم لها، فهو يتجنب الصراع، ويؤثر السلامة، ويتردد بين القناعة الراضية، والتطلع القاتل، وبين الصلابة والرخاوة... "[1]، تلك هي الحالة النفسية التي كان شكري يمر بها في حياتها، والتي تجلت بوضوح في أواخر القصيدة السابقة؛ حيث أبرز فيها أنه راضٍ، لكنه رضا في سخط وتطلّعٍ إلى المجهول، وأنه صابر لكنه صبر يعتريه الجزع، يرى أنه قوي ببعده عن الناس، وانطوائه عن المجتمع، وانغلاقه على نفسه، ضعيف عندما تنوشه أحداثُ الزمان وهمومُها، وتصيبه سهامُ الأيام وصروفُها.

وتبرز حدة القلق من الموت في تجارب شكري بصورة أكثر في قصيدة أخرى بعنوان (ذل المشيب)؛ تتجلى فيها مأساوية المشاعر، وحدة التشاؤم، ومدى قلق الشاعر واضطرابه في حياته؛ نتيجة إحساسه بالموت، وظهور أماراته، وهو المشيب، يقول شكري في هذه القصيدة: [2]

تـمُـرُّ بـيَ الأيـامُ حـتـى تـرَوِّعُـنـي لـذلّ مشـيـبـي لا لـوقـعِ شـعـوبِ

(١) د/ عبد الفتاح الشطي (عبد الرحمن شكري ناقدًا وشاعرًا)، صـ٢٠٨.

(٢) ديوان شكري صـ٣٠٢.

وأخشى مزيدَ العمر يسلبُ جِدَّتي فأشقى بوهني واتصالِ عُيوبي
ولمْ أُلْفِ خِلًّا في الشباب مصادقًا فكيف أرَجّى في المشيب حبيبي؟
فيا خيبةً للمرء قاربه الردى يقولُ لأيام الشبيبة: أُوبي
يجوبُ فيافي الشيب والموتُ راصدٌ كما يرصُدُ الغِربانُ هُلكَ غريب
يرى فيه أشباحَ السنين التي مضت كما روّع السفاحَ روحُ سليبِ
وكم نهزةٍ في العيش يبكي ضياعَها ولم يروِ من جماتها بذنوب
تُجِدُّ له يا ليت شجوًا وحسرةً وهل قولُه يا ليتَ غيرُ لَغوبِ؟

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن أيام المشيب، التي هي إنذار الموت، وإيذان باقترابه، والناس عمومًا والشعراء على وجه الخصوص عندما يشعرون باقتراب الموت؛ ينتابهم القلق، ويخيم على نفوسهم الاضطراب والأرق، ويصيبهم التفكير العميق في عالم ما بعد الموت، ومن هنا كان القلق من الموت قلقًا فريدًا من نوعه؛ "لأنه لا سبب له سوى الوجود نفسه، فهو قلق ميتافيزيقي لا علاج له؛ لأنه يتكون بسبب حدث مقبل ليس للإنسان عليه يدان"[1]، ومن ثم كانت قضية الموت مصدر قلق كبير، وأرق متواصل بالنسبة للشعراء، وشكري في تلك الأبيات يجسد لنا ما يمر به من أحاسيس، وما يعتمل في قلبه من مشاعر وأفكار، تجاه قضية الوجود والعدم؛ فقد عاش حياته متشائمًا قلقًا مضطربًا؛ نتيجة صروف الأيام، ونوائب الزمان؛ فإذ بالشيب يدب في رأسه، وإذ به -بعد تلك الحياة المليئة بالعقبات- يرى نذير الموت قد بدت بوادره؛ فيصيبه الهم، ويخيم على نفسه الحزن.

والمتأمل في الأبيات يجد أن الشاعر لا يخاف من الموت في حد ذاته، وإنما يروّعه المشيب، الذي هو إشعار بدنوّ الأجل، وينتابه الأرق بسبب بلوغ مزيد من العمر، الذي يسلب منه قوته، ويجعل الضعف يدب في جسده، وهو الذي عاش حياته منفردًا، وعن الناس منعزلًا، كيف يجد من يؤازره في ضعفه وشيبته، في حين أنه لم يجد خلًا وفيًا في شبابه وقوته؟!

(١) د/ زكريا إبراهيم (مشكلة الحياة: مشكلات فلسفية)، صـ١٦٦، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

ثم يندب الشاعر حظه، ويرثي حاله، ويبين أن خيبة الأمل ملازمة له، وقلق نفسه لا يفارقه؛ نتيجة الإحساس باقتراب الردى، وانتهاء العمر، بعد أن عاش حياته مكتئبًا، يكابد أحزانها، ويعاني ويلاتها، ثم ينتهي به الحال إلى واقع لم يتغير، وحياة لم تتبدل، يجوب شاعرُنا فيها الشيبَ، والموت يترصد له كما يترصد القناص لفريسته؛ الأمر الذي جعله يعاني مزيدًا من القلق، ويكابد كثيرًا من الأحزان والأرق، فشبابه الذي كان يمنحه القوة والفتوة قد ضاع هو الآخر في خضم الحياة وصروفها، حتى أصبح في مرحلة لا يملك فيها قوة، ولا يجد فيها رفيقًا.

وهنا يقف عبد الرحمن شكري متأملًا في تلك الحياة المنصرمة، وهذه الحياة التي تنذر بدنو الأجل، فيرى أن أشباح السنين قد مضت، وأحزان الأيام قد انقضت، فكم من هموم كابدها قلبه! وكم من أحزان تمكنت من نفسه! وكم من فرص سنحت له يبكي ضياعها وعدم اقتناصها! ثم يأتي في أواخر عمره قائلًا -في حزن وحسرة-: ياليت! ولكن هيهات هيهات أن ينفعه التمني بعد انقضاء العمر، واقتراب الأجل، فما ذاك التمني إلا من تراكم الأحزان، وكثرة الهموم والأشجان.

ولعل بيت القصيد في هذه الأبيات يكمن في تلك الصورة المخيفة التي صوّرها شكري للموت؛ نتيجة قلقه منه، واضطراب نفسه عند تذكره، وأرق وجدانه عند اقترابه وظهور أماراته؛ حيث صوّر الشاعر الموتَ في صورة القناص الذي يتحين الفرصة لقنص فريسته، ولا شك أن هذه الصورة قد أفصحت عما في وجدان الشاعر من خوف ورهبة، وصورت ما في وجدانه من حزن وقلق. وتأتي بقية الأبيات لتبرز مدى الأسى، وشدة المعاناة النفسية التي يعيشها الشاعر في أواخر أيامه، فيقول: (١)

ولم أحمِدِ الأيامَ أيامَ شِرَّتِي ... أأحسِبُ سؤرَ العيشِ غيرَ مُريبِ؟
أظَلُّ غريبًا بين أهلي ومعشري ... وكمْ أشيَبٍ في قومه كغريبِ!
وأُصبِحُ كَلّاً في العشيرةِ مُقْعَدًا ... يُقَتِّرُ رزقي أو يملُّ قريبي
ويَهْزَأُ بي الأهلون من بعدِ هَيْبَةٍ ... وأخشى وقِدَمًا كنتُ غيرَ هيوبِ
وأصبِحُ منسيًا وإن كنتُ شاهدًا ... كأني خفيُّ الجسم غيرُ قريب

(١) ديوان شكري صـ ٣٠٢.

وكم قائلٍ: ما بالُه طال عُمُرُهُ! سها الموتَ أم ما عمرُه لشَعوب
ويُخطئُ سعيُ الرزقِ أيامَ مِرَّتي فكيف إذا أصبحتُ غيرَ كسوب؟
فزرنيَ في ليل الشباب كسارقٍ ولا تنتظرْ يا موتُ ذلَّ مشيبي!

تأتي هذه الأبيات لتفصح عما في قلب الشاعر من حزن وأسى، وتبرز ما في نفسه من قلق وشجى، وهذه خواطر الإنسان العادي في أيام شيبه وضعفه، فما بالنا بشاعر فنان يجيد تصوير لواعجه، وتجسيد خوالجه! استطاع شكري في هذه الأشطر أن ينقل لنا صورة حسية مجسدة لمآسيه وأحزانه؛ حيث يبين أنه لم يحمد الأيام في قوته وشبابه؛ لأنه لم يجد فيها شيئًا يسره، ولم يجن منها سوى الهم والكدر، فلما بلغ من العمر مبلغًا إذ بالأحزان تزداد، والقلق الذي يقض مضجعه لا يفارقه، ويظل –أيام شيبه– غريبًا بين أهله وقومه، يهزأ به الأهلون بعد أن كان ذا هيبة ووقار، ويصبح منسيًا في مجتمعه بعد أن صال في الحياة وجال، حتى إنَّ رزقه الذي كان قليلًا أيام قوته وشدته لا زال ضئيلًا في ضعفه وشيبته، ومن كان رزقه قليلًا في مِرّته كيف به الحال إذا أصبح غير كسوب، لا يملك القوة لكي يكد ويجتهد من أجل كسب العيش؟! ولذلك يذيل تلك القصيدة بهذا البيت الذي يخاطب فيه الموت أن يزوره في أيام الشباب؛ لكي لا يتجرع في مشيبه ذلين، ذل المشيب بما فيه من أشجان وأحزان، وذل القلق الذي ينتابه بسبب اقتراب ساعة الموت.

وتلك لعمري أحاسيس شاعر متقن، جسد ما في وجدانه في صورة لا يختلف عليها اثنان، فالإنسان في نهاية عمره يشعر بأن الحياة سريعة الزوال، وأن ما بقي له فيها أقل مما ذهب وولى، نعم؛ تحدث عبد الرحمن شكري عن همومه الذاتية، وخوالجه النفسية، ولكنها في ذات الوقت أحاسيس كل إنسان يصل إلى مرحلة متأخرة من العمر، وقد أجاد شاعرنا في تصوير هذا الإحساس؛ إذ إن "الشاعر الحق لا يرتبط بالحوادث اليومية الصغيرة، ولا بالأحداث المحلية التي تجري في قريته أو حتى في وطنه –وإن كان كل ذلك أمورًا مهمة يصورها الأديب في إبداعه– فمفهومه أكبر من ذلك؛ إنها هموم الإنسان في

كل زمان ومكان"[١] مهما اختلفت ثقافته، أو تباينت رؤيته، فكل إنسان يشعر بهذا الشعور، وينتابه القلق من هذا الإحساس، لا سيما إذا طعن به السن، ودب الشيب في رأسه، وقد اختصر شكري تلك الأحاسيس المسببة للقلق في جملة واحدة، وهي عنوان القصيدة (ذل المشيب).

وفي تجربة أخرى يتحدث شكري عن نذير الموت أيضًا (المشيب)، فيبين فيها لواعج قلبه، وغصات نفسه، ويتجلى فيها القلق من الموت بوضوح، يقول فيها الشاعر: [٢]

سكنَّا الأرضَ بعد الأفْقِ دارا ... وأُنزِلْنا إلى بطنِ الأديمِ
وأُفهِمنا القضاءَ وما فهمنا ... وقلْ ما شئتَ في لغو العليمِ
وكُسِّرَتِ القوادمُ والخوافي ... وهِيضَ العظمُ في الجسمِ الكليمِ
فمن حَذَرٍ إلى بخلٍ وذلٍ ... وسوءِ الظنِّ بالخلِّ الحميمِ
أطلَّ الموتُ من كَثَبٍ علينا ... وظلُّ الموتِ أصبحَ كالنديمِ
تُرَوِّعُنا الصروفُ بكلِّ خطْبٍ ... وخطبُ الموتِ أهونُ للفيهمِ
وضاعتْ جِدَّةُ الدنيا وصارتْ ... كأطمارٍ على جسمِ العديمِ
يحاربُنا التذكرُ والتمني ... كلا الأمرين يُفضي للهمومِ
وقدْمًا قد نَعِمنا بالتمني ... وأمَّلنا الخلودَ على النعيمِ
وليت الذكرَ وهو نديم شجوٍ ... يدومُ برقَّةِ العهدِ القديمِ
سننسى أننا كنا قديمًا ... على هام الثريا والنجوم

في هذه التجربة تتدفق الأحاسيس المليئة بالقلق، والمشاعر الممزوجة بالهم والأرق؛ نتيجة اقتراب الموت، والشعور بدنو الأجل؛ حيث يتحدث الشاعر عن أيام الشيخوخة، وما يشعر به الإنسان في تلك الأيام من هموم متواصلة، وأرق دائم، ويبرز شكري أن الإنسان قد جاء إلى الحياة يعاني آلامها،

(١) ينظر: د/ شفيع السيد (نظرية الأدب دراسة في المدارس النقدية الحديثة)، صـ ٩٠، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٤م.
(٢) ديوان شكري صـ ٤٤٩.

ويكابد أحزانها، تنهشه الأحداث بسهامها، وتنغص معيشته الأيام بصروفها، فمن حذر إلا بخل وذل، وسوء الظن في الخل الوفي يعيش الإنسان في حياته، وبينما هو في تلك الحال إذ بالموت يطل عليه بين الحين والآخر، ويصبح للإنسان كالظل، يسير معه أينما توجه، ثم يبين الشاعر أن صروف الأيام، ونوائب الزمان تروع الإنسان، وتقض مضجعه بأحداثها، وتؤرق وجدانه بخطوبها، في حين أن الموت خطب هين لمن كابد أحداث الزمان، وعانى من ويلات الأيام.

ثم يوضح الشاعر أن الإنسان في شيخوخته ينتابه التمني لزمان الشباب وأيامه التي أدبرت ومضت، وتخيم على نفسه الذكرى لأيام القوة والفتوة التي ولّت وانقضت، وكلا الأمرين (التذكر والتمني) يفضي بالإنسان إلى مزيد من القلق، وكثير من الضجر والأرق الذي ينغص عليه حياته، ويؤرق عليه وجدانه.

ومن خلال هذه التجربة يمكن القول بأن شكري قد تأثر بما عاشه في حياته من آلام وأحزان، وتجلت هذه الحياة في شعره المليء بالقلق الروحي، والتشاؤم من كل شيء في واقع الناس وزمانهم، وهكذا لم يستطع أن يتلاءم مع مجتمعه الذي يغوص في التناقضات والسلبيات؛ لأنها لا توافق طبائعه؛ ولذلك يقول: "إن النجاح في الحياة يستلزم طبائع لا يستقيم إلا بها، وإنه ليخيل لي أحيانًا أنْ ليس عندي هذه الطبائع، مثل التملق والرياء والنفاق والضعة، والاهتمام بالأشياء الدقيقة الحقيرة، والمكر والتطفل، وارتقاب الفرص الوضيعة، واتخذا كل وسيلة مهما كانت دنيئة لاكتساب ثقة الناس، والإلحاح في طلب المنافع منهم، وإظهار الحاجة لهم، والتذلل لهم، والتهافت عليهم... "[1]، ولما كان مجتمع الناس مليئًا بمثل هذه السلبيات؛ نأى الشاعر بنفسه، وانطوى على ذاته، وابتعد عن دنيا الناس وعالمهم، يتأمل في حياته بعد ضعفه وشيبه، ويرى أن في الشيب ذلًا لا ترضاه نفسه الأبية، ويرى أن ولوج الإنسان في مثل هذه المرحلة العمُرية مصدر أساس من مصادر قلقه واضطرابه، وحزنه واكتآبه.

وفي كثير من شعر شكري نراه –في بعض الأحيان– يفضّل الموت على حياة الذل والخنوع، فنجده

(١) عبد الرحمن شكري (الاعتراف) صـ ٤٣...

في كثير من تجاربه يرى في الموت نجاة من نوائب الزمان، وفرارًا من آفات الناس وشرورهم، شأنه في ذلك شأن شعرائنا العرب القدامى، من أمثال أبي تمام، وابن الرومي، والمتنبي، وأبي العلاء، الذين كان التشاؤم مصدرًا من مصادر إلهامهم، والمتأمل في شعر شكري يجد أنه قد تأثر بابن الرومي، الذي اتسم شعره بدقة التصوير، وببراعة التعبير، لا سيما تجارب التشاؤم، وأشعار الحزن والأسى، كما أعجب شكري بأبي العلاء؛ "لما ينزع إليه شعره من شك في طبيعة الإنسان وجدوى حياته... وقد عانى هؤلاء الشعراء جميعًا –من قبل شكري– أزمة التشاؤم الذي يشبه تشاؤم شاعرنا، وقد دفعتهم ظروفهم السياسية والاجتماعية السيئة إلى نوع من القلق، والشعور باليأس الخانق، فكان طبيعيًا أن يتأثر بهم شكري، وأن يحاكي أنغامهم، وأن يشاركهم التوقيع على قيثارة حزينة... "[1]، ويرى أن في الموت خلاصًا من حياة يملؤها الأسى، ويخيم عليها الحزن والضجر.

وفي ديوان شاعرنا كثير من التجارب الإبداعية التي يفضل فيها الموت على الحياة، ويهرب من قلقه المتواصل وحزنه المتراكم إلى الموت، الذي اتخذه ملجئًا يفر إليه من تلك الحياة التعيسة، من هذه النماذج قصيدته التي بعنوان (حلم بالبعث)، والتي يقول فيها:

رأيتُ في النَّومِ أني رهنُ مظلمةٍ ... منَ المقابرِ مَيْتًا حوله رمَمُ
ناءٍ عنِ الناسِ لا صوتٌ فيُزعِجُني ... ولا طموحٌ ولا حُلْمٌ ولا كَلِمُ
مُطَهَّرٌ من عُيُوبِ العيشِ قاطبةً ... فليسَ يُطرقُني همٌّ ولا ألمُ
ولستُ أشقى لأمرٍ لستُ أعرفُهُ ... ولستُ أسعى لعيشٍ شأنُهُ العدَمُ
فلا بكاءُ ولا ضَحِكٌ ولا أملٌ ... ولا ضميرٌ ولا يأسٌ ولا ندمُ
والموتُ أطهرُ من خبثِ الحياةِ وإنْ ... راعتْ مظاهِرَهُ الأحداثُ والظُلَمُ

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن الموت وما يأتي بعده من حساب وبعث وجزاء، ويتخذ من الموت وسيلة للهروب من واقع مليء بالعقبات، وحياة ممزوجة بالأزمات، التي خيمت على قلبه،

(١) عبد الفتاح الشطي (عبد الرحمن شكري شاعرًا وناقدًا) صـ٢١٤.

وأقضت مضجعه، وأرقت وجدانه، يحاول شكري الهروب من هذه الحياة التعيسة إلى الموت، حيث لا هم ولا كدر، ولا حزن ولا ضجر، ينأى بنفسه بعيدًا عن الناس وأحقادهم، ومنطويًا بنفسه عن وشرورهم وأطماعهم، مطهرًا عن عيوب العيش قاطبة، لا يثنيه هم ولا حزن، ولا يعكر صفو نفسه أسى ولا شجن، لا يشقى لأمر لا يعلمه، ولا يسعى لعيش شأنه العدم والفناء، وكأنه بهذه الكلمات يبعث إلى القارئ رسالة، فحواها: أن الدنيا متاعها يزول، والبقاء فيها لا يطول، فلا تستحق التطاحن والتخاصم؛ لأن الإنسان عندما يموت ينفك عنه البكاء والضحك، والأمل، والضمير، واليأس، والندم؛ ولذلك يعلنها الشاعر صريحة أن الموت أطهر من خبث الحياة وشؤمها، وأكثر راحة من تناقضات الناس وانحرافاتهم.

وقد كان عبد الرحمن شكري -وغيره من شعراء جيله- يفر من الحياة وهمومها إلى الموت، ولعل الدافع في ذلك يكمن في الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كان الناس يكابدنها تحت وطأة الاحتلال آنذاك، فقد تأثر الشعراء بهذا الواقع المظلم، وجعلهم يشعرون بأن "الحياة صارت فاقدة للمثالية والسمو والقيم، فوجدوا أنفسهم يتجرعون -مع بقية أبناء الشعب- مرارة هذا العيش؛ فأحدث هذا في نفوسهم شرخًا عميقًا، ونوعًا من الشعور الذي يختلط فيه القلق والاضطراب بنوع من الخيبة واليأس والشك، والريبة بالمستقبل، وأطبق التشاؤم عليهم"[(١)]، وأصبحت صورة الموت تسيطر على عقولهم ووجدانهم، فرأوا أنه النجاة من هذا العيش الضنك، والمخلص من تلك الحياة الكئيبة، ويأتي الإحساس بأن الموت نجاة من هذا الألم ملازمًا للانفعال والتوجع، ملازمًا "للإحساس بالزمن فرديًا وحضاريًا، حيث العذاب الجسدي يتضامن مع الغياب الحضاري، وبالملازمة جعل الشاعر من الموت ملتقى الرغبات، وتعارض الاختيارات"[(٢)]؛ ولذلك يفضل الموت على حياة مليئة بالعقبات،

(١) هدير كريم سليمان (أثر الرومانتيكية في تشكيل ظاهرة الهروب من المجتمع لدى الشعراء الهروبيين في مصر ١٩٢٠-١٩٥٠م)، صـ ٧٧، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد ٢٦، جـ٣ عام ٢٠٢٠م.

(٢) د/ محمد بنيس (الشعر العربي المعاصر بنياته وإبدالاتها)، جـ ٣، صـ ٢١٤، منشورات دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط ٣/ ٢٠٠١م.

ومعيشة ممزوجة بالأزمات.

وقد يتخذ شكري من الموت وسيلة للوعظ والإرشاد؛ لتكون تسلية للإنسان الذي أصابته الأيام بأحداثها، ونال منه الزمان بسهامه، ففي قصيدة بعنوان (وعظ الموت)، يخاطب الشاعر كلَّ إنسان مهموم مغلوب على أمره، عاش حياته تعيسًا بين متاعب الدنيا وأوصابها، يقول شكري في هذه القصيدة: (١)

تَذَكَّرْ شجيَّ القلبِ أنّا جميعُنا ... نَئُولُ إلى وِرْدِ الرَّدَى ونصيرُ
هل العيشُ إلا ساعةٌ ثمَّ تنقضِي ... هلِ الدهرُ إلا أشهُرٌ وعصورُ
نَرَى حولنا الهُلّاكَ في كل منزلٍ ... كأنّ بيوتَ العالمينَ قُبورُ
ونعلمُ علمًا ليس بالظنِّ أننا ... سنمضي على آثارِهِمْ فنَحورُ
وَهَوَّنَ عِندي الموتُ ما الدهرُ صانعٌ ... فلستُ من الخَطْبِ العظيمِ أخورُ
وليستْ مساعي المرءِ إلا جنازةٌ ... تَخِبُّ به نحو الرَّدَى وتسيرُ
وما عرفَ الأيامَ إلا مُجَرِّبٌ ... لبيبٌ بأحداثِ الزمانِ خبيرُ
ونبكي لموتانا لأنَّ حياتَهم ... منافعُ تُغني في الخطوب وخيرُ
يُخلّفنا الأحبابُ كالدَّوحِ هزَّهُ ... شتاءٌ يعرّي غصنَهُ ودبورُ
أنشقى بفقْدِ الميْتِ والميْتُ ناعمٌ ... سعيدٌ بما جرَّ الحِمامُ قريرُ؟
وما الموتُ إلا الأمنُ والخلدُ صنوهُ ... ألا إن فقدانَ الحياة حبورُ
خليقٌ بنا أن نغبطَ الميْتَ حالَه ... فإنّ حياةَ العالمين غرورُ

في هذه الأبيات تتجلى شخصية شكري الواعظة، ونفسيته الراضية؛ حيث يبدي من خلال هذه القصيدة ما يعتلج في قلبه من إحساس بأن الحياة لا قيمة لها، وأن الحزن فيها لا يدوم كما أن البقاء فيها لا يطول، فلا حاجة لأن يمتلئ قلب إنسان فيها بالهم والقلق، أو الاضطراب والأرق؛ إذ إنها دار فناء لا

(١) ديوان شكري، صـ٢١٨.

دار بقاء، ومن هنا يخاطب الشاعر كلَّ إنسان أصابه الدهر بسهامه، ونالت منه الأيام بأحداثها: أن اصبر؛ فكلنا صاحب مصير واحد، وجميعنا إلى مردٍ واحد؛ ألا وهو الموت، الذي لا يفرق بين صغير وكبير، أو غني وفقير، أو شقي وسعيد، فالكل سواء، والمصير حتمي لا محالة، وما العيش إلا ساعة يقضيها الإنسان ثم تنقضي، والعمر إن كان أشهرًا أو عصورًا فلا بد له من نهاية، ثم يخاطب شكري أصحاب الهموم والقلاقل في الحياة: أن انظروا إلى مصارع الأقوام من قبلنا، ونهاية الناس من بيننا، وانقضاء آجال من يعيشون حولنا؛ لكي تدركوا أن بيوت العالمين قبور لهم، وأننا إلى مصير من سبقونا سنمضي ونؤول.

ثم يتحدث الشاعر عن أثر هذا اليقين على نفسه وقلبه؛ فيبرز أن الموت عنده أمر هيّن؛ لأنه قد عانى من صروف الأيام، وكابد أحزان الزمان، فلم يحصّل من عيشه ما كان يبتغيه، ولم يجن من حياته سوى الهم والكدر؛ فلذلك هان عنده أمر الموت، ولا يعرف هذه الحقيقة إلا إنسان عاش حياته بين هم وقلق وحزن وأرق.

ثم تأتي بقية الأبيات؛ ليفصح فيها الشاعر عما في نفسه من أحاسيس ومشاعر؛ فيبين أن بكاءنا على أمواتنا ليس لأن موتهم مصيبة حلت بهم، بل لأن موتهم مصيبة حلت بالأحياء؛ لأن في حياته نفعًا لهم، وفي موته إلحاق الضرر بهم، ولا يخفى أن في هذا التعبير إيحاء بأن الشاعر يفضل الموت على الحياة؛ إذ لا يتصور أحد أن الناس يبكون على موتاهم لمصيبة حلت بالأحياء لا بالأموات، وإنما إحساس شكري بما في العيش من كدر ووصب، وهم ونصب؛ جعله يؤثر الموت على الحياة؛ ويرى أن الأموات في راحة من صروف الأيام، ومصائب الزمان؛ ولذلك يبين أن الأحباب يخلُفون أحبابهم كما يسلب الشتاءُ والرياحُ أوراقَ الشجر، وإذا كان الحال كذلك؛ فلا مجال لأنْ يحزن الإنسان على فقد حبيبه؛ فالميْت سعيد وقرير؛ لأنه ترك ما في الدنيا من هموم، وارتاح مما فيها من أحزان وشجون؛ ولذا يختم قصيدته بقوله:

وما الموتُ إلا الأمنُ والخلدُ صنوهُ ألا إن فقدانَ الحياة حبورُ
خليقٌ بنا أن نغبطَ الميْتَ حالَه فإنّ حياةَ العالمين غرورُ

ومن خلال هذه القصـيدة يتجلى للقارئ أن عبد الرحمن شـكري قد اتخذ من الموت وسـيلة للخروج من إحسـاسـه بالقلق، وأداة مهمة من أدوات الخروج من عالمه النفسـي الحزين، وعالمه الخارجي الكئيب؛ حيث لا يجد في عيشـه شـيئًا يسـره، ولا يجد في واقعه الذي يعيشـه إلا الظلم الاجتماعي الناتج عن احتلال غاشـم قد حكم الناس بالحديد والنار؛ الأمر الذي جعله يعيش بعيدًا عن هذا الواقع، منعزلًا بنفسـه عن دنيا الناس وما يعتري مجتمعهم من آفات وسـيئات، وإذ به يخلو بذاته منطويًا فلا يجد راحة نفسية في قلبه، بل يشعر بهموم تقض مضجعه، وأحزان تؤرق قلبه، وتنغص عليه حياته، فيجد في نفسـه حيرة وقلقًا لا مفر منه إلا الموت، فهو المخلص من حياة كهذه، لا شـيء فيها سوى هموم وأكدار!

ثانيًا: الزمان وأحداثه.

إن المطالع للتجارب الشعرية على مر العصور يجد أن شكوى الشعراء من الزمن أمر طبيعي؛ إذ كل شاعر ينظر إلى الزمان على أنه وسيلة الهموم، وآلة القلاقل، فيجسده في صورة قناص ينقض على فريسـته فيرديها مقتولة، وقد تجلى مثل هذا التصـوير في كثير من شـعر الجاهلية؛ حيث "كان الشـاعر القديم يرمي نفسـه أحيانًا بوسـائله الفنية بالعجز عن فهم موضـوع الزمان، ولكن هذا لم يمنعه من التعرض المسـتمر له، ومحاولة تقليب النظر في وجوهه، وربما كان الموضـوع متصـلًا بالصـمم الذي يهدد عقل الشـاعر ووجدانه... ومن هنا كان الشـاعر في مسـألة الزمان يرى أن ما يعرفه قليل... "[1]، وأن ما يجهله كثير؛ فينظر إليه نظرة قلق وارتياب، وخوف واسـتلاب، ويقف في وجه الدهر موقف المخاصـم والمناضـل؛ ومن هنا كان الشـاعر مولعًا بالتفكير الدائم، ومحبًا للحركة المسـتمرة، والانطلاق في الآفاق الشاسعة؛ بحثًا عما يسلي قلبه، ويريح نفسه من عناء القلق والاضطراب الناتج عن خوفه من المجهول.

وما لبثت تلك النظرة العدائية للزمان والدهر أن تتغير في عصر صدر الإسلام؛ حيث أيقن الشعراء أن كل ما في الكون مسـخر لبني الإنسـان، وأنه سـيد هذا الكون، بخلاف الشـاعر القديم الذي لم ير في

(١) د/ مصطفى ناصف (صوت الشاعر القديم)، صـ٩٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

الكون أي مظهر للبهجة والنور، ثم توالت العصور بعد ذلك فكان تعامل الشاعر مع الزمان تعاملًا ينتابه الحذر والاضطراب، أما في العصر الحديث فقد تطور هذا التعامل؛ نتيجة الانفتاح الثقافي على العلوم والمعارف الغربية.

والمتأمل في الشعر العربي الحديث يجد أن قضية الزمان قد شغلت أذهان الأدباء والكتاب؛ باعتبارها عاملًا من عوامل الإبداع الشعري، ورافدًا من روافد الفكر الإنساني، فمثّل الزمانُ نمطًا أساسيًا من أنماط الاغتراب النفسي، والقلق الروحي الذي ينتاب الشاعر؛ فيجعله منطويًا عن المجتمع، ومنعزلًا عن الناس، ومن هنا "بات الزمان يمثل محورًا أساسيًا في تشكيل ظاهرة الاغتراب الإنساني، وذلك من خلال فقدان التوافق النفسي، والانسجام الذاتي مع اللحظة التي يحياها الفرد، وظهور حالة من التوتر بفعل تلك التبدلات النفسية"(١) التي تصيب الشاعر في حياته؛ نتيجة ضغوط الحياة وأوصابها.

وفي التجارب الإبداعية عند عبد الرحمن شكري يدرك المتأمل أن الشاعر يئن قلبه من الزمان، وينسب إليه كل ما يشعر به من هموم وأحزان، شأنه في ذلك شأن بقية الشعراء، الذين صوروا الزمان في صورة قناص يتحين الفرصة لقنص فريسته، وقد مزج شكري بين قلقه الناتج عن الزمان وبين تشاؤمه من الحياة وما فيها من أحداث وأحزان، ولعل هذه التشاؤم الحاد كان مستمدًا "من تشاؤم مجتمعه؛ فقد طغت موجات اليأس طغيانًا جارفًا في تلك الأيام السود أيام الاحتلال، على جميع الشباب وجميع النفوس، وهو طغيان قد فل العزائم، وثبط الهمم، وأمات الآمال والقلوب، فلم يعد الشباب يستطيعون الإقدام والعزم الصادق والهمم البعيدة، بل أصبحوا فريسة الإحجام والتردد والخنوع"(٢)، وأصبحوا فريسة للحيرة والشك والاضطراب الذي يجعل الحياة عذابًا، والعيش كئيبًا وضبابًا.

وقد بلغ هذا الإحساس عند شكري حدًا لم يبلغه عند شاعر آخر؛ إذ إن شاعرنا قد عانى طوال حياته من القهر والاضطهاد، وكابد كثيرًا من ويلات الزمان، وعاش حياته منعزلًا عن الناس، منطويًا

(١) د/ أحمد علي الفلاحي (الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية)، صـ ٧٥.

(٢) د/ شوقي ضيف (دراسات في الشعر العربي المعاصر) صـ ١١٢.

على نفسه، يعتصر قلبَه الهمُّ والحزنُ، ويخيم على نفسه القلق والشجن، وقد تجلت هذه الأحاسيس بصورة واضحة في تجاربه عن الزمان، الذي كان مصدرًا أساسيًا من مصادر القلق، وعاملًا رئيسًا من عوامل الحيرة والأرق، الذي أرق وجدان الشاعر، وأقض مضجعه، ومن أبرز هذه التجارب الشعرية في ديوان شكري قصيدة بعنوان (الخوف والفزع)، يفصح فيها عن أحاسيس قلبه، وغصات وجدانه، يقول فيها: (١)

حَذِرْتُ الذي يُمْني لِيَ الدهرُ من أذى ... فيا ويحَ نفسي من عَناءِ التفزُّعِ
ويا ويحَ نفسي كلما لاحَ بارقٌ ... تطايَرَ آمالي ويهتاجُ مطمعي
ويا ويح نفسي كلما جاء كارثٌ ... ظَلَلْتُ ونفسي كالبناءِ المضعضعِ
وحتّام هذا الخوفُ في كلِّ لحظةٍ ... يدبُّ إلى قلبي وطرْفي ومَسمعي
أفي كلِّ يومٍ حادثٌ يستذلُّني ... وفي كل يومٍ لي طِماحٌ مُوَدِّعي؟
وفي كلِّ يومٍ خيبةٌ إثرَ خيبةٍ ... ولوعةُ قلبٍ ذي كُلُومٍ مُفَزَّعِ؟
وفي كلِّ يومٍ لي خليلٌ يخونُني ... وفي كل يومٍ لي حبيبٌ مُفجِّعي؟
وحتامَ أرجو الموتَ لا أستطيعهُ ... وأفرقُ منه أن يُلمَّ بمضجعي؟
أعالجُ في الأحشاء يأسًا ومطمعًا ... فيا بؤسَ أضدادٍ ويا بؤسَ المجمعِ

يا له من إحساس أليم عندما تدلهم الأمور على قلب الإنسان! وعندما يخيّم على نفسه شعور بأن الدنيا لا خير فيها، وأن الناس لا يرجى منهم النفع، وأن الزمان قد سلط عليه سهامه، وأن الأيام تنوشه بأحداثها، تلك هي الحالة النفسية التي خيمت على قلب شكري عندما بث هذه اللواعج القلبية، في تلك التجربة الشجية التي تجلى مضمونها من خلال عنوانها، فهي بحق (خوف وفزع)، خوف من المجتمع المليء بالتناقضات والآفات، المكثف بالغموض، الممزوج بالنفاق والسيئات، وفزع من مصائب الأيام المتوالية، وسهام الدهر المتتالية، والتي تنتابه بين الحين والآخر، فلا يجد راحة ولا

(١) عبد الرحمن شكري (الديوان)، صـ١٥٨.

سكينة، ولا يحصل على استقرار ولا طمأنينة، ومن شأن الإنسان الذي يعيش بين ذاك الخوف وهذا الفزع أن يخيم على قلبه الهم والقلق، وأن يسيطر على إحساسه الحزن والأرق؛ ولذلك يعيش الشاعر حذرًا مما يصيبه به الدهر ويقدره، وقلقًا مما تخفيه عنه الأيام وتستره.

ثم يتحدث الشاعر عن أثر تلك الحوادث المتتالية على قلبه ونفسه، فيرسم لنا صورة يكسوها الحزن، ويخيم عليها الأسى؛ حيث يذكر أنه كلما لاحت له بارقة أمل، أو إشارة نور تمنحه القوة إذ بها تزيد من حزنه شجى، وتضاعف عليه القلق، فتتطاير آماله، ويهتاج مطمعه، وتزداد آلامه، ويُقَض مضجعه، كما أنه كلما جاءته كارثة، وأصابه حدث محزن إذ بقلبه يتضعضع حزنًا، ونفسه تئن قلقًا، وفؤاده يعتصر ألمًا، ثم تأتي التساؤلات الكثيرة، التي تنم عن نفسية حائرة، وقلب حزين، ونفس مضطربة: حتام هذا الخوف يأتيني بين غمضة عين وانتباهتها يدب إلي قلبي، فيؤرق نفسي، ويسلب النوم من عيني، ويصيب قلبي بالحزن والهم.

ثم يذكر الشاعر تفاصيل هذا الخوف، ومحاور هذا الفزع، وهي التي جعلت قلبه يعتصر كمدًا وحزنًا على نفسه وعيشه، ففي كل يوم تنتابه الأحداث التي تستذله، وفي كل يوم يتوارد على قلبه طموح سرعان ما يودعه ويفارقه؛ نتيجة تراكم الأحداث، وتتابع الأحزان، وفي كل يوم خيبة بعد خيبة، ولوعة قلب حزين مكلوم مفزوع، وفي كل يوم خليل له يخونه، وحبيب له يفجعه ويهينه؛ الأمر الذي جعله يطلب الموت فلا يجده، ويتمنى الهروب من هذه الحياة الكئيبة التي لا يشعر فيها براحة نفسية، فيحاول أن يعالج هذه الهموم المستكنة بين أحشائه، يأسًا من علاجها، وطمعًا في زوالها، ولكن يا بؤس الأضداد، ويا بؤس نفسه التي تجمعت حولها تلك الأضداد.

ثم تأتي بقية الأبيات لتفصح عن نفس الشاعر المتيقنة في الله عز وجل؛ فإذ به يحاول أن يعالج هذه الأحاسيس، مستعينًا بالله سبحانه، عسى أن يمنحه القوة على تحمل هذه المشاق؛ فتهدأ نفسه، وتقلع عن الدموع عينه، وعسى أن ينقذه من المهالك والنوازل، ويخرجه من تلك الأحاسيس القاتلة، وهذه المصائب المُجزِعة، أليس في ضياء الشمس تسلية لبائس، خيم عليه الهم، وسيطر على قلبه الحزن؟ ثم يمنّي شكري نفسه أنه يعيش في زمان لا يصيبه حزن، ويسائل: من لي بهذا العيش الذي لا

أحزان فيه ولا أشجان؟ والذي لا يبالي فيه بأحداث الدهر ومصائب الزمان، بل يقول فيه للدهر: اقض ما أنت قاض، أو اصنع ما يحلو لك، فلست بالشاكي ولا المستكين! ويكأن الشاعر لا ينفك عن إحساسه بالتشاؤم، وشعوره باليأس المتفاقم؛ حيث يرى أن العيش الخالي من مصائب الزمان ما هو إلا غش يحلو من الدهر لمن يتغاضى عن أحداث الأيام، ومن هنا يخاطب الدهر قائلًا: أسدل علينا غفلة ثم فاخدع! يقول شكري في هذه الأبيات: (١)

أعالجُ في الأحشاء يأسًا ومطمعًا ... فيا بؤسَ أضدادٍ ويا بؤسَ المجمعِ
عسى أن يُتيحَ الله صبرًا يحوطُني ... فتهدأُ أضلاعي وترقأُ أضلُعي
وينقِذَني من مَهْلَكٍ أيَّ مهلَكٍ ... ويُخرجَني من مَجْزَعٍ أيَّ مجزعِ
أما في ضياء الشمس مسلىً لبائسٍ ... أناخَ عليهِ الهمُّ من كلِّ مَوضِعِ؟
فمن لي بعيش لا أبالي صروفَهُ ... أقول لدهري: طرْ بصرفِكَ أو ضعِ!
نعيشُ بغشٍّ منك يحلو لغافلٍ ... فأسْدِلْ علينا غفلةً ثم فاخْدَعِ!

ومن خلال هذا الأنموذج يتجلى للقارئ أن الزمان كان مصدرًا من مصادر القلق لدى عبد الرحمن شكري، حيث صوره في صورة الجاني الذي يصيبه بسهامه، وينتابه بأحداثه وصروفه، على أننا نجد في ديوان شكري تجارب أخرى يمزج فيها بين الزمان والإنسان، وينسب إليهما جل ما أصابه من أحداث وأحزان، ويبث في تلك التجارب لواعجه القلبية، وهمومه النفسية، التي أقضت مضجعه، وأرقت وجدانه، وسيأتي حديث مفصل عن كون الإنسان عاملًا من عوامل قلق الشاعر، ورافدًا من روافد الهموم، وسببًا في أرق شكري وحيرة قلبه، وهذا ما سنتحدث عنه في الصفحات الآتية.

(١) عبد الرحمن شكري (الديوان)، صـ١٥٨-١٥٩.

ثالثًا: الإنسان وآفاته.

من المعلوم أن التجارب الإنسانية كان لها حضور كبير في الشعر العربي منذ القدم حتى العصر الحديث، باعتبار أن الإنسان هو المعبر، وهو المصور لما في وجدانه من تجارب ومشاعر وأحاسيس، وهو أداة الإلهام لدى الشعراء لكونه عنصرًا أساسيًا من عناصر الطبيعة المحسوسة، والشاعر ابن بيئته ومجتمعه، يصور ما في واقعه من مناظر محسوسة، ويجسد ما يقع عليه نظره من مشاهد ملموسة، وأخذ الشعراء "يوجّهون نشاطهم الفكريَّ للمشاكل الإنسانيّة؛ لأن الشاعرَ لا يعيش لنفسه، وإنّما يعيش لمواطنيه، وللإنسانيّة كّلها"[(١)]، وقد امتدت هذه المشاعر الإنسانية؛ " لتشمل كلَّ بقاع الأرض؛ ولُتحدث نوعًا من التواصل الإنساني المحبب" [(٢)]؛ ذلك لأن الشاعر "يمتزج بمجتمعه؛ حتى يكون جزءًا لا يتجزأ منه؛ وحتى يعبر عن كل خواطره الجماعية، وكل ما يموج به من أفكار وأحاسيس"[(٣)].

على أننا إذا تأملنا في ديوان عبد الرحمن شكري فسنجد أن الشاعر قد صور الناس في مجتمعه في صورة موحشة؛ حيث بين في تجاربه أن آفات الناس ونفاقهم، وتناقضات أبناء المجتمع من حوله قد جعلته يتشاءم من العيش معهم، ويكره أن يعيش بينهم، ومن هنا أحب حياة العزلة والانطواء، بعيدًا عن مساوئ الناس ونفاقهم، ولعل هذا كان اتجاهًا سائدًا بين أبناء هذا الجيل من الشباب؛ حيث كانت مصر تحت وطأة احتلال غاشم لا يرقب في أحد إلا ولا ذمة، وقد رأى شكري –مع غيره من أبناء جيله– بني الإنسان (الاحتلال) يكممون أفواه الناس، ويسلبون أقواتهم، ويسرقون أرزاقهم، ولا يراعون فيهم إنسانية ولا كرامة.

وقد صور العقاد –وهو من رفقاء شكري وزملائه– هذا الإنسان في صورة مخيفة موحشة، فقال: "الإنسان أشد الحيوان ضراوة، يفترس من البر والبحر والهواء وما هو بمضطر كاضطرار الوحوش إذ ترد عنها قوارص السغب، ولكن ليتلذذ ويتفكه بتنوع الألوان واختلاف الطعام، وكما أن السبع قد

(١) ينظر: د/ شوقي ضيف (دراسات في الشعر العربي المعاصر) صـ ١٣٢.

(٢) مفيد قميحة (الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر) صـ ٤٢، دار الآفاق الجديدة– بيروت، ط/ ١/ ١٩٨١ م.

(٣) د/ شوقي ضيف (البحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره) صـ ١٣، دار المعارف– القاهرة، ط/ ١٠.

يغتال فريسته من أجل نهشة من اللحم، وكذلك إنساننا قد يسطو على شرف أخيه وطمأنينته فيسلبها منه من أجل لذة فارغة لا يضير الاستغناء عنها، فالوحشية ليست في البرثن والناب أكثر منها في الشوكة والسكين، وليست هي في الفتك والاغتيال بأقبح منها في الإفك والاحتيال"(١)، ومن هنا كان الإنسان عاملًا من عوامل القلق لدى شكري، وسببًا من أسباب حزنه وضجره وتشاؤمه ويأسه، فقد رأى في المجتمع كثيرًا من الآفات الاجتماعية، والسلبيات السلوكية والأخلاقية؛ ولذلك انعزل بنفسه نائيًا عنهم، منطويًا بذاته، منغلقًا على نفسه.

ومن أبرز هذه التجارب التي تجلى فيها القلق في ديوان شكري قصيدة له بعنوان (صداقة الأحياء والأموات)، أفصح فيها عن أحاسيسه القلبية، ومشاعره النفسية، وما يعتمل في وجدانه من حزن وأسى؛ نتيجة أفعال الناس غير اللائقة، وسلوكياتهم الخاطئة، التي جعلته يعقد موازنة بين صداقة الأحياء والأموات، ويفضل أن يموت بدل أن يعيش مع أناس متلونين ظن فيهم الخير ولكن خاب سعيه، فلم يحصل منهم إلا على الخيانة والنفاق، أفعالهم خبيثة، ونفوسهم مريضة، لا يراعون ضميرًا ولا إنسانية، يقول الشاعر في هذه القصيدة مخاطبًا هؤلاء: (٢)

لأيِّ أمرٍ خذلتُموني ... يا أهلَ ودِّي وإخوتي؟
كأنكم ما صحبتُموني ... إلا لنحْسي وشِقوتي!
أما كفَى وقْعُ نائباتٍ ... يَقْرَعْنَ عُودِي ومَرْوَتي؟
حِسْبي سِقامي وطولُ همِّي ... وذُلُّ عَدَمِي ولَوْعَتي
كلكُم كاذبٌ حقُودٌ ... يُشْعِلُ يأسي وحسرتي

في هذه الأبيات يتوجه الشاعر بالخطاب واللوم إلى أناس توسم فيهم الخير، وظن أنهم إخوته وأحبابه، فإذ بهم يغدرون به، ويخونون عهده، ولا يقدمون له ما كان يتوقعه، ومن هنا يسألهم: لأي شيء وبأي ثمن قد خنتم عهدي؟ كأنكم ما صحبتموني إلا لمصلحتكم، فلما زال السبب زلتم وخنتم!

---

(١) عباس محمد العقاد (خلاصة اليومية والشذور) صـ ٥٤.

(٢) عبد الرحمن شكري (الديوان)، صـ ١٦٦.

ويمزج شكري بين الإنسان والزمان فينسب ما هو فيه من آلام وأحزان إلى أهل الخداع والنفاق، بعد أن أرق الزمن وجدانه، وأقضت الأيام مضجعه، فيستكثر تراكم هذه الهموم النفسية على قلبه، فيخاطب من خانوه: أما يكفيكم أن الزمان قد نال مني بسهامه، وأن الأيام تنوشوني بأحداثها؟! أما يكفيكم أنني سقيم لطول همي وقلقي، وأنني حزين بحيرة قلبي ولوعتي؟! كلكم كاذب، وجميعكم مخادع، لا خير يرجى من ورائكم، ولا أمل يُنتظر منكم!

ثم يتساءل الشاعر عن أناس عاش معهم، ورأى منهم كل خير، ولمس فيهم صدق المحبة، وصفاء النفس، ونقاء السريرة، يتساءل عن هؤلاء الذين رحلوا عن دنياه إلى الآخرة؛ فزاد همه، وتضاعف قلقه، وتكاثر حزنه وأرقه، يقول: (١)

أيـنَ الأُلَـى قـربُـهُـم شـفـاءٌ ... يـكشـفُ غـمِّـي وكُـرْبَـتـي؟
مَـرْآهُـمُ نَشْـوَةٌ وسُـكْـرٌ ... ونُـطْـقُـهُـم بُـرْءُ غِـلَّـتِـي
أَوَّاهُ مِـن وقـعـة الـمـنـايـا ... يـقـعـن في خـيـر نـخـبـتـي
مـا الـعـيـشُ عـيـشٌ إذا تَـنـاءَوا ... وصِـرْتُ أبـكـي لـوَحْشـتـي

المتأمل في هذا المقطع وفي المقطع السابق يدرك أن الشاعر يعقد موازنة بين الأحياء والأموات، ومن يعيش حولهم، ويتعامل معهم لا يرى فيهم إلا خبث الطوايا، وسوء المعاملة، ولا يجد منهم إلا النفاق والكذب والخداع، وفي المقابل يتساءل عمن سبقوه إلى الموت، لا سيما أنقياء الناس وأصفياؤهم، الذين لم تعرف قلوبهم الغل والنفاق، ولم تعرف ألسنتهم الكذب ولا التملق والالتواء، بل كان مرآهم له شفاء، ونطقهم له برءًا من كل داء، لا يشعر بحلاوة العيش إذا غابوا، ولما ماتوا كابد حزن فراقهم، ولوعة موتهم، ومع هذا الإحساس بالحزن المتعمق في نفسه على فراق أهل المودة من أحبابه وأصحابه، يخاطب مَن يعيش معهم في دنيا التناقضات، وعالم الآفات والسلبيات قائلًا: (٢)

(١) عبد الرحمن شكري (الديوان)، صـ١٦٦.

(٢) المصدر السابق صـ١٦٦ - ١٦٧.

كـيـف أرَجِّي بـكـم شــفـائـي وأنـــتــمُ أصـــلُ عِـــلَّـــتـــي؟
كــأنــنـي بـيـنـكـم غـريـبٌ أنـــدبُ حـــظِّـــي وغـــربـــتـــي
أنـتـم ســهـامٌ تـهـيـضُ عـظـمـي وهُـــم وقـــائــي وجُـــنَّـــتـــي
لا يُـرتـجَـى مـنـكـمُ مُـعـيـنٌ يُـغـنـي إذا الـنَّـعُـلُ زَلَّـتِ
غـدًا يـنـالُ الـحُـمـامُ مـنّـا بـكـلِّ شـــمــلٍ مُشَـــتَّـــتِ
حـتـى كـأنْ لـم نـكـنْ نُـرائـي عـلـى دهــاءٍ وخـــدْعـــةِ
نـعـيـشُ بـالـغـشِّ مـا حـيـيـنـا غـشِّ عِـدىً أو أحـبـةِ

يخاطب الشاعر كل من يتصفون بالكذب والخداع، ومن أساءوا إليه في حياته، ويسألهم: كيف أرجى منكم الخير؟ والحال أنكم سبب شقائي وعثرتي، ومصدر قلقي وعلّتي، وكأنني غريب أعيش بينكم، أندب حظي وأشكو غربتي، وما أنتم إلا سهام تصيب قلبي، وتهيض عظمي، أما من رحلوا عني فقد كانوا مصدر إسعادي وراحتي، ومن هنا يبرز الشاعر حالة التناقض بين من كانوا بحق أحبابه وبين من يزعمون كذبًا أنهم أصحابه، ولعل هذا التناقض ناتج عن الحالة النفسية التي يعاني شكري آلامها، ويكابد أحزانها، وقد أجاد شاعرنا في تصوير هذه اللواعج القلبية، وتجسيد تلك الأحاسيس القلبية؛ ذلك أن "التجربة النفسية التي يمر بها الأديب ليست سوى مادة خام، قابلة للصياغة والتشكيل، حتى تتحول إلى التجربة الجمالية التي يشترك فيها القراء جميعًا، وتثير في نفوسهم أنبل الدوافع، وأجمل الأحاسيس". [١]

وقد وصل الشاعر إلى نتيجة هذه المقارنة بين صداقة الأحياء وصداقة الأموات، وهي أن أصحاب الخداع، وذوي الكذب في الحياة ما هم إلا مصدر قلق وأرق، وليسوا إلا عامل حزن وألم، وأن هؤلاء مهما تلونوا وخدعوا فمصيرهم معلوم، وطريقهم محتوم، وهو الموت، جميع الناس ستنتهي حياتهم، ولا بقاء لأحد –سوى الله– ولا خلود، وسيعلم الجميع أن تكالبهم على الحياة كان عبثًا، وكراهية

(١) د/ نبيل راغب (التفسير العلمي للأدب نحو نظرية عربية جديدة)، صـ١٣٨.

بعضـهم لبعض كان دهاء وخدعة، ثم يردُّ الجميع إلى مصـير واحد، ونهاية واحدة، ويُلاحظ دائمًا أن عبد الرحمن شـكري يقابل بين الحياة والموت، وبين كفاح الناس والصـراع اليومي من أجل السـبق والظفر، وبين الموت وبين أحلامه وأمانيه، وبين الموت الذي يتربص به لمنعه، وبين الموت وجلاله، وبين نبض الحياة في جمالها ومظاهرها، وبين سـكوت الموت وصـمته المخيف... " [1]، ومن هنا يتمنى الموت ليستريح من تلك الأحاسيس القاتلة، ويفاضل بين صداقة الأحياء والأموات، فيفضل الأموات على الأحياء؛ لأن حياة الأحياء يملؤها الغش والكذب، غش من الأصـدقاء والأعداء، حياة كئيبة، وعيش غير مرغوب فيه، يتمنى الشاعر الخلاص منه مهما كثرت مباهج الحياة ومظاهر جمالها.

ثم تأتي بقية أبيات القصيدة لتصور ما في نفس الشاعر من إحساس تجاه الحياة والناس، وتبرز ما في قلبه من لواعج نتيجة الخداع والكذب المنتشـر بين أبناء المجتمع، يعيش الناس بين غش أحبة وغش أعداء، حتى يفاجئهم الموت، فيقضـي على أحلامهم وآمالهم، فيطهر نفوسـهم، ويجلو عنها خبثها ونفاقها، وحينها يشـعر الإنسـان بالندم فيعض على يديه نادمًا ولات سـاعة مندم، وتتجلى حدة التشاؤم عند شاعرنا بصورة جلية حينما يصور رجوع الميت بعد نشره وبعثه في صورة الخداع أيضًا، فيكون -كما كان- في وده كذوبًا، وفي حبه منافقًا، وكأني بشكري في هذه الصورة يستلهم قول الله عز وجل: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الأنعام: ٢٨)، يقول الشاعر في نهاية القصيدة:[2]

حـتـى إذا لاحـت الـمـنـايـا ... وربَّ حـيٍ كـمـيـتِ

طـهّـرَنـا الـمـوتُ مـن خـطـايـا ... بـيِّـنـةٍ في الأسـرَّةِ

نـنـسـى عِـداءَ الـذيـن مـاتـوا ... والـحـيُّ يُـقـلَـى بـزلـةِ

فـنـحـسِـبُ الـمـيْـتَ ذا وفـاءٍ ... نـبـكـي عـلـيـهِ بِـحُـرْقـةِ

ولـو يـعـودُ الـدفـيـنُ حـيًـا ... مـن بـعـد نشـرٍ ورجـعـةِ

لصـار في وده كـذوبًـا ... وعـادَ يُـمـنـى بـظـنَّـةِ

(١) د/ يسري سلامة (عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان) صـ١٢٩، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٦م.

(٢) عبد الرحمن شكري (الديوان)، صـ ١٦٧.

وفي دفقة شعورية أخرى يبث عبد الرحمن شكري لواعجه الذاتية، ومشاعره القلبية، التي أرقت وجدانه، وأحزنت نفسه وكيانه؛ بسبب ما يراه في دنيا الناس من آفات عجيبة، وتناقضات غريبة، وأخلاق مذمومة، تفشت بين أبناء المجتمع؛ فكانت تلك الآفات عاملًا من عوامل قلقه واضطرابه، وسببًا من أسباب حزنه واكتآبه، وهي قصيدة بعنوان (الحسود)، يتحدث فيها عن أصحاب هذا المرض الممقوت، ويتعمق في طوايا نفس المتصفين بداء الحسد، لا سيما إذا كانوا ممن ينظر إليهم نظرة تقدير وإجلال، كأصحابه وإخوانه الذين توسم فيهم الصلاح، وتوقع منهم الخير والفلاح؛ فإذ بهم يحسدون أصحاب النعم، ويمقتون كل ذوي القمم؛ ومن هنا كانوا سببًا في قلق الشاعر وعدم شعوره بالراحة في الحياة، يقول شكري في هذه القصيدة: (١)

أخٌ لي، وإخوانُ الصَّفاءِ قليلٌ ... خليلٌ وهل في الحاسدين خليلُ؟
إذا ما بَدَتْ لي خصلةٌ يستجيدُها ... طواها عنيفٌ عند ذاك عجُولُ
وأدْرَكَهُ مسُّ الجنونِ وأظلمتْ ... عليه السماءُ، والنهارُ جميلُ
تنفَّسَ أنفاسًا سراعًا، وأبرقتْ ... لهُ لحظاتٌ كلهنَّ غليلُ
فرائصَهُ مرجوفةٌ ودموعُهُ ... تحيَّرُ في آماقِهِ وتجولُ

في هذه الأبيات يتحدث الشاعر عن أناس اقتربوا منه، وعاشوا معه، لكنهم لم يكونوا أوفياء ولا أصفياء، بل كانت نفوسهم مريضة، وقلوبهم بالحسد والضغينة مليئة؛ ومن هنا يصور لنا شكري أن إخوان الصفاء، وأصحاب القلوب السليمة من الشحناء أناس قليلون في حياته، كانوا أقرب الأصحاب إلى قلبه، فاتخذهم أصدقاء وأخلاء، أما الحاسدون فلا يرجى منهم الخير، ولا يُتوقع منهم إلا الضرر والشر، إذا رأوا صفة جميلة في أصحابهم ينكرونها، ولا يتحدثون عنها؛ حسدًا من عند أنفسهم، وبغضًا متأصلًا من قلوبهم، أما إذا رأوا سيئة ذاعوها وفي كل وادٍ نشروها.

(١) السابق، صـ ١٧٥.

ثم يتعمق الشاعر داخل هذه النفوس المريضة، ويصور حالهم عندما يرون خصلة جميلة في أحد الناس، ترى هؤلاء الحاسدين قد مسهم الجنون، وأطبقت عليهم السماء، وأظلم عليهم النهار، ويدق قلبه، وترتعد نفسه، ويشتعل الغل في قلبه، وإذ بفرائصه مرجوفة، ودموعه تجول في عينيه وتصول؛ وما كان هذا إلا لأن قلبه قد امتلأ بالحقد والحسد على أصحاب النعم، وذوي الشيم والقيم، ولا يخفى على القارئ أن أمثال هؤلاء الحاسدين دافع أساسي من دوافع القلق لدى الشاعر، وعامل رئيسي من عوامل أرق وجدانه؛ ولذلك يذكر في ثنايا قصيدته أن أمثال هؤلاء إذا رأوا منه مكرمة أهملوها ولم ينظروا إليها إلا حسدًا وحقدًا، أما إذا رأى هذا الحسود ريبة فكأنه قد حصل على مبتغاه، وحقق ما يرغبه ويهواه، وإذا حضر مجلسًا مع صديقه إذ به يمدح ويشدو، وإذا غاب عن صديقه إذ به يقدح ويهجو، يقول شكري متحدثًا عن هذا الحسود: (١)

وإنْ تبدُ مني ريبةٌ قال باسمًا: ألا إنها طبعٌ لديه دخيلُ
ويشدو بمدحي حاضرًا، ومديحُهُ إذا غبتُ عنه كالهجاءِ ثقيلُ
ويبسُمُ للزاري عليّ كأنما يقولُ له: أحسنتَ حين يقولُ
ويوهمُ صحبي أنني ذو عداوة أجولُ بعيبٍ فيهمُ وأصولُ
وأني مغتابٌ وأني حاسدٌ أعيب عليهم فضلَهم وأُذيلُ
إذا استخبروا عن شيمتي ومحاسني يجمجمُ قولًا مشكلًا ويميلُ
وإن مدحوني جاهدين وأكثروا تململ حقدً والحقودُ عليلُ

لا يخفى على القارئ أن الشاعر في هذه الأبيات يبرز الصفات التي يتصف بها الحسود، فقلبه المليء بالحقد والحسد، والذي لا يرغب في إبراز الخير الذي في صاحبه، ولا يرجو له إلا الشر؛ هذا القلب يسوّل له فعل الشرور، ويهيئ له اقتراف الآثام، ومن هنا كان هذا الإنسان المتصف بهذه الصفات المذمومة، وتلك الآفات الممقوتة عاملًا من عوامل القلق عند عبد الرحمن شكري؛ الأمر

(١) عبد الرحمن شكري (الديوان)، صـ ١٧٦.

الذي دفعه إلى تمني الموت وطلبه؛ لكي يبتعد عن هذا المجتمع المظلم، وتلك الدنيا الموحشـــة، عسى أن يحقق مبتغاه، ويجد بعد الموت ما يجوه ويتمناه.

الخاتمـة

بعد هذه الرحلة الشـائقة الرائقة مع التجارب الإبداعية في ديوان عبد الرحمن شـكري، يمكنني أن أشير إلى أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث والدراسة، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولًا: المجتمع بما فيه من أحداث وشخصيات وسلبيات وإيجابيات يعد مادة ثرة للأديب، يستلهم منه تجاربه، ويتفاعل مع ما فيه من أحداث ووقائع، وإن كان المجتمع بعيدًا عن جادة الطريق، ومليئًا بالظلم وانعدام العدالة؛ كان ذلك عاملًا مهمًا من عوامل قلق الأديب وعدم ارتياحه، لا سـيما إذا كان هذا الأديب قد عانى من صـروف الأيام، وكابد أحزان الزمان، ولم يحقق من حياته سـوى الهموم والأحزان، والآلام والأشجان.

ثانيًا: النقد الأدبي يجمع بين أشتات العلوم والمعارف الإنسانية والبشرية، ومن هذه الفنون المهمة في سـبر أغوار النص الأدبي علمُ النفس وما يتعلق به من مباحث ودراسـات سـيكلوجية؛ لأنها تتعمق في أغوار النفس الإنسانية، ومن خلالها يستطيع الناقد أن يستخرج الدلالات الكامنة، والمعاني الخفية، لا سيما إذا اتسم الشعر بالتشاؤم أو التفاؤل، أو الحزن أو الفرح، أو القلق أو أو السكينة، فهذه الأنماط وغيرها من صميم علم النفس، والتي يستعين بها الناقد في قراءة النصوص وتحليلها وتأويلها.

ثالثًا: تجلى من خلال ما سبق أن العاطفة الوجدانية للشاعر كانت سببًا من أسباب قلقه واضطرابه؛ حيث كانت مواقفه مع محبوبته مفعمة بالأحاسـيس القوية، والمشـاعر القلبية، التي أرقت وجدان الشاعر، وأقضت مضجعه، فأصبح لا يشعر براحة، ولا يجد سعادة، ومن هنا تمنى الخلاص من هذا العيش المضني، وتلك الحياة البائسة.

رابعًا: عاش عبد الرحمن شـكري حياة مليئة بالعقبات، ومكثفة بالأزمات؛ الأمر الذي أثّر على قلبه ونفسـيته، فعاش دون أن يحقق فرحة، أو أن يجد سـعادة؛ فتجلى في شـعره الكآبة والحزن، والتشـاؤم والقلق، والاضطراب والإحساس بالأرق.

خامسًا: من أبروز الدوافع النابعة من وجدان الشاعر، والتي كانت سببًا بارزًا من أسباب قلقه وحزنه أيضًا شعوره بالاغتراب النفسي، وإحساسه بالضيق؛ نتيجة ما كابده في واقعه من هموم أحزان، ونتيجة

ما ألم به من أحداث وأشجان.

سادسًا: كما كانت أحاسيس الشاعر النفسية، ومشاعره النابعة من صميم قلبه عاملًا مهمًا، وسببًا واضحًا في قلقه واضطرابه، فكذلك كانت هناك أسباب خارجة عن إرادته، وعوامل ناتجة عن أشياء لا دخل لها فيها، ومن هذه العوامل الموت، الذي لا يفرق بين صغير وكبير، ولا بين غني وفقير، ولا بين أمير وحقير، عندما ينتهي الأجل لا يستقدم الإنسان من عمره ساعة ولا يستأخر، من هنا كان الموت سببًا في قلق الشاعر، وعاملًا من عوامل اضطرابه وأرقه.

سابعًا: جاءت تجارب الشاعر عن الموت على نوعين، فتارة يتحدث عن الموت خوفًا وهلعًا من مصيره ومآله، وتارة أخرى ينظر إلى الموت على أنه المخلص من حياة كئيبة، وأيام عصيبة أرقت وجدانه، وهزت كيانه، وكانت سببًا في عدم شعوره بالراحة والسعادة، فلجأ إلى الموت يناديه، ويستدعيه، عسى أن يخلصه من تلك الحياة.

ثامنًا: من الدوافع الخارجية التي أرقت وجدان شاعرنا، وكانت سببًا في قلقه الروحي، واضطرابه النفسي أحداثُ الزمان ونوائبُ الأيام، إذ كان ينظر إلى الزمان على أنه قناص يتحين الفرصة لاقتناص فريسته، فجاءت تجاربه الشعرية عن الزمان متدفقة بالمشاعر النفسية، ومتأججة بالأحاسيس القلبية، فتجلى فيها القلق واضحًا، وبرز فيها الإحساس بالخوف والأرق بينًا.

تاسعًا: كان للإنسان دور كبير في تشكيل التجربة الشعرية عند شكري، وتبين من خلال ما سبق أن أخلاق بعض الناس في المجتمع كانت عاملًا من عوامل أرق الشاعر وقلقه؛ فبرز في تجاربه اضطراب نفسي، وقلق روحي، وحزن وجداني على ما كان يراه في مجتمع الناس من آفات وسلبيات.

عاشرًا: تجلى من خلال هذه الإطلالة السريعة أن شاعرًا هذه حياته ومعاناته وتجاربه قمينٌ بأن يكون شعره فيها وعنها ينطق بالحكمة، التي هي خلاصة تجارب الإنسان ومعايشته للزمان والمكان، وما أكثر ما لاحظنا في النماذج التي تم الاستشهاد بها أن الحكمة قد توجت ديوان الشاعر، ودلت على خبرته ونتاج قلقه إذا قلق، وبؤسه إذا ابتأس، فشعر الحكمة لدى شكري كان نتاج معاناته، وفلسفة حياته، بمنظاره هو؛ فكان، وكانت.

المصادر والمراجع

١. ابن منظور (لسان العرب).

٢. أحمد علي الفلاحي (الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط/ ١/ ٢٠١٣م.

٣. أحمد محمد عبد الخالق (قلق الموت)، عالم المعرفة، الكويت، مارس ١٩٨٧م.

٤. أسعد رزق (موسوعة علم النفس)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط/ ٣ عام ١٩٨٧م.

٥. جميل صليبا (المعجم الفلسفي...) دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ١٩٨٢م.

٦. حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث من ١٨٨١ – ١٩٣٨م)، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

٧. حسن مصطفى عبد المعطي (علم نفس النموّ)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

٨. زكريا إبراهيم (مشكلة الحياة: مشكلات فلسفية)، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

٩. السعيد محمود عبد الله (المرأة في وجدان الشاعر العربي)، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٥م.

١٠. شفيع السيد (نظرية الأدب دراسة في الممدارس النقدية الحديثة)، دار غريب للطباعة والنشر– القاهرة، ط ٣/ ٢٠١٤م.

١١. شوقي ضيف (البحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره)، دار المعارف– القاهرة، ط/ ١٠.

١٢. شوقي ضيف (دراسات في الشعر العربي المعاصر)، دار المعارف القاهرة.

١٣. شوقي ضيف، (الأدب العربي المعاصر في مصر)، دار المعارف، القاهرة، ط/ ١٣، بدون تاريخ.

١٤. صبري محمد خليل (القلق بين العلم والفلسفة والدين)، مقال منشور بالموقع الرسمي للدكتور صبري، رابط الموقع: https: //drsabrikhalil. wordpress. com

١٥. عباس محمد العقاد (خلاصة اليومية والشذور).

١٦. عبد الرحمن شكري (الاعتراف وهو قصة نفس)، الإسكندرية ١٩٩١٦م.

١٧. عبد الرحمن شكري (الديوان)، مؤسسة هنداوي، القاهرة.

١٨. عبد العزيز الدسـوقي (مدرسـة الديوان وأثرها في الشـعر)، الهيئة العامة لقصـور الثقافة، مايو ١٩٩٦م، مكتبة الشباب ٤٤.

١٩. عبد الفتاح عبد المحسن الشطي (عبد الرحمن شكري ناقدًا وشاعرًا)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩م.

٢٠. عز الدين إسماعيل (التفسير النفسي للأدب)، مكتبة غريب، القاهرة، ط/ ٤، بدون تاريخ.

٢١. عز الدين إسـماعيل (الشـعر العربي المعاصـر قضـاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، المكتبة الأكاديمية ١٩٩٤م.

٢٢. عفيف عبد الرحمن (الأدب الجاهلي في آثار الدارسـين قديمًا وحديثًا)، دار الفكر للنشـر والتوزيع، ط/ ١/ ١٩٨٧م.

٢٣. ليندا دافيدوف (مدخل إلى علم النفس)، ترجمة محمود عمر، فؤاد أبو حطب، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠١٣م.

٢٤. محمد بنيس (الشعر العربي المعاصر بنياته وإبدالاتها)، منشورات دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط ٣/ ٢٠٠١م.

٢٥. محمد غنيمي هلال (الرومانتيكية)، نهضة مصر للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.

٢٦. مصطفى ناصف (صوت الشاعر القديم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٢٧. مفيد قميحة (الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر)، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط/ ١/ ١٩٨١ م.

٢٨. نازك الملائكة (سـايكولوجية الشـعر ومقالات أخرى)، الهيئة العامة لقصـور الثقافة، سـلسـلة كتابات نقدية (٩٨)، يناير ٢٠٠٠م.

٢٩. نبيل راغب (التفسـير العلمي للأدب: نحو نظرية عربية جديدة)، المركز الثقافي الاجتماعي، بدون تاريخ.

٣٠. نفيسة داخلي عبد الرازق (ظاهرة الحزن في الشعر السوداني المعاصر)، مركز إبداع للطباعة الحديثة ٢٠٠٤-٢٠٠٥م.

٣١. نورة السفياني (ظاهرة الاغتراب في شعر القرشي)، مجلة علامات في النقد الأدبي، عدد ٥٨، ١ ديسمبر ٢٠٠٥م.

٣٢. هدير كريم سليمان (أثر الرومانتيكية في تشكيل ظاهرة الهروب من المجتمع لدى الشعراء الهروبيين في مصر ١٩٢٠-١٩٥٠م)، مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، العدد ٢٦، ج٣ عام ٢٠٢٠م.

٣٣. يسري سلامة (عبد الرحمن شكري شاعر الوجدان)، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٦م.

فهرس الموضوعات

الملخـــص ٨٨٧
المقدمـــة ٨٨٩
التمهيد ٨٩٢
أولاً: التعريف بالشاعر ٨٩٢
ثانيًا: القلق وعلاقته بالشعر. ٨٩٥
علاقة القلق بالأدب: ٨٩٨
المبحث الأول: الدوافع الذاتية ٩٠٢
أولاً: العاطفة الوجدانية (الحب). ٩٠٣
ثانيًا: الحزن. ٩٠٨
ثالثًا: الشعور بالغربة. ٩١٤
المبحث الثاني: الدوافع الخارجية ٩٢٤
أولاً: الموت ومقدماته. ٩٢٤
ثانيًا: الزمان وأحداثه. ٩٣٨
ثالثًا: الإنسان وآفاته. ٩٤٣
الخاتمـة ٩٥١
المصادر والمراجع ٩٥٣
فهرس الموضوعات ٩٥٦